الملخص
بدأت الباحثة بحثها بالحديث عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وأبرزها: استقلال الشخصية الأدبية للأديبة، والجرأة النادرة في إبداء الأفكار، وطرق الموضوعات السياسية التي ينأى الكتاب عن طرقها، مما يدل على حس الأديبة المرهف، وذوقها الفني الرفيع في معاناة قضايا أمتها.
وغزارة الإبداع الأدبي المقالي للأديبة، وتنوعه ما بين مقالات أدبية، ومقالات صحفية، وانشغال الدارسين عن دراسته بالاقتصار على دراسة روّاد الفن المقالي من الأدباء.
وتناولت التعريف بالكاتبة الأديبة ونتاجها الأدبي، والروافد المؤثرة في فنها الأدبي، ومكانتها الأدبية، والتعريف بفن المقالة، ومنهج الأديبة في مقالاتها، وتناولت الدراسة ألوان المقالة الأدبية عند الأديبة، وتنوعها إلى مقالات أدبية ونقدية، ومقالات اجتماعية، ومقالات وصفية، ودراسة ألوان المقالة الصحفية، من المقالة الافتتاحية، والمقالة الاقتصادية والمقالة السياسية.
الكلمات المفتاحية: أدب، المقالة، جميلة العلايلي، دراسة، نقدية.

Abstract:
The researcher started her research by talking about the importance of the topic, and the reasons for choosing it in particular, the most prominent of which are: the independence of the literary personality of the writer, the rare courage in expressing ideas, and the methods of political topics that the book did not approach, which indicates the writer's delicate sense and high artistic taste in caring about the issues that her nation suffers.
The research tackles the rich literary articles the writer provided, and its diversity between literary articles and newspaper articles, and Scholars' preoccupation with studying only literary art pioneers of article genre among the writers.

The study introduced the literary writer and her literary production, the influential factors in her literary art, her approach in literary articles and her literary position, and the definition of the literary article genre. Moreover, the study dealt with the types of the literary articles of the writer, and its diversity into literary and critical articles, political articles, social articles, descriptive articles, and studying the types of the newspaper article; the opening article, the economic article and the political article.
Keywords: literature, article, Jamila Al-Alayli, study, criticism.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه، وعمل بسنته إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن الأدب المقالي وهو فن نثري يتميز عن بقية فنون النثر، بسرعة نشره في الصحف والمجلات، ووصوله إلى أضخم عدد من الجماهير، والتأثير في عقول الناس ومشاعرهم؛ لأنه يخاطب جميع طبقات الشعب بلغة سهلة واضحة، وأسلوب فني ممتع، ويعالج قضايا الأمة كافة السياسية، والاجتماعية، والأدبية، وما يجد من أحداث العصر المتلاحقة، وقد برع في هذا الفن أدباء كبار في مصر، في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حملوا راية الإصلاح، وأقنعوا الناس بأهمية التغيير الإيجابي، وكانت جهودهم المعبر الثقافي للنهضة الشاملة في مجال الإصلاح السياسي والاجتماعي، من أمثال: الشيخ جمال الدين الأفغاني، وتلميذه الشيخ محمد عبده، والرافعي، والزيات، والعقاد، وقد سارت الأديبة: «جميلة العلايلي» على دربهم في مقالاتها الهادفة في مجلتها «الأهداف»، التي امتدّ عطاؤها الأدبي والصحفي على مدار عشرين عامًا متصلة بدءًا من ديسمبر ١٩٤٨م، فضلًا عن المجلات الأخرى، والصحف اليومية التي فتحت أبوابها لنتاج الأديبة المتميز.

وتكمن أهمية هذا الموضوع: «أدب المقالة عند جميلة العلايلي دراسة نقدية» في الوقوف على جهود الأديبة في هذا الفن المقالي، والتعرف على ملامح شخصيتها الأدبية، في إبداء الرأي، والنقد والتوجيه، لإيقاظ أبناء الأمة، وإنقاذهم من الظلم والقهر، ببث أفكار الإصلاح السياسي والاجتماعي، وحمل الناس على ترسمها، وصرفهم عن السلبيات والنقائص المرذولة، في أسلوب أدبي ممتع، وصدق وجداني مؤثر.

ومن أسباب اختيار الموضوع ما يأتي:

١- أن هذا الموضوع لم يخصه أحد بالدراسة، مع غزارة إبداع الأديبة في هذا الفن، وعلى الرغم من المنزلة الرفيعة التي احتلتها الأديبة، بتقدير الأدباء والنقاد لفنها، ومع ذلك لم تحظ بعناية الدارسين، ولم تنل ما تستحقه من الاهتمام، لانشغالهم عنها بدراسة أدب الأدباء، لذلك عقدت العزم على دراسة هذا الموضوع.

٢- تعدد ألوان القضايا والموضوعات التي تناولتها الأديبة في مقالاتها الأدبية والصحفية، في موضوعية وارتباط بالواقع، مستهدفة بناء القيم الإنسانية السامية التي دعت إليها شرائع السماء، وتحرير العقل الإنساني من المفاهيم الخاطئة والدعاوى الباطلة.

٣- أودّ أن يكون هذا البحث المتواضع، لبنة تمهد الطريق، وتلفت الأنظار لنتاج أديبة تستحق

الدراسة في الإبداع النثري، الذي تعاضد جنبًا إلى جنب مع الإبداع الشعري.

وقد اقتضت خطة البحث أن يقسم إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع.

المقدمة: تشتمل على عنوان الموضوع، وأهميته، وأسباب اختياره، والخطة الموضوعة له، ومنهج البحث.

التمهيد بعنوان: «**جميلة العلايلي ومنهجها في الفن المقالي**» ويشتمل على: التعريف بالأديبة، ونتاجها الأدبي، وروافد إبداعها الأدبي، ومكانتها الأدبية، والتعريف بفن المقالة، ومنهج الأديبة في مقالاتها.

المبحث الأول بعنوان: المقالة الأدبية، وقد اشتمل على الآتي:

أولًا: المقالة النقدية.

ثانيًا: المقالة الاجتماعية.

ثالثًا: المقالة الوصفية.

المبحث الثاني بعنوان: المقالة الصحفية ويشتمل على ما يأتي:

أولًا: المقالة الافتتاحية.

ثانيًا: المقالة الاقتصادية.

ثالثًا: المقالة السياسية.

ثم الخاتمة لأهم النتائج، وثبت المصادر والمراجع.

منهج البحث: اتخذ البحث المنهج الوصفي أساسًا في الدراسة، مع الاعتماد على المنهج الفني في التحليل والنقد.

والله من وراء القصد

الباحثة

د/ نجفة السيد الشنهاب

التمهيد

جميلة العلايلي ومنهجها في الفن المقالي

١- التعريف بالأديبة ونتاجها الأدبي:

هي الأديبة جميلة محمد العلايلي، الشاعرة المصرية الموهوبة المحلقة، من مدرسة أبولو، ومن مواليد المنصورة بالدقهلية، ولدت في العشرين من مارس سنة ١٩٠٧م، وتوفيت في الحادي عشر من أبريل سنة ١٩٩١م.

شدت بالشعر منذ أكثر من ربع قرن، أغاني جميلة عذبة، وأناشيد فاتنة وصلوات روحية محلقة، وتعد أستاذة لكثير من الشعراء والشاعرات، وندوتها الأدبية الأسبوعية التي تقيمها بمنزلها تعد مدرسة حقيقية، يتبادل فيها الأدباء الآراء الجديدة في الأدب والشعر والنقد بالدراسة والتمحيص[(١)].

تميزت بغزارة نتاجها الأدبي وتنوعه، فلها خمسة دواوين شعرية، ثلاثة منها مطبوعة، الأول بعنوان: «صدى أحلامي»، وقد صدر في عام ١٩٣٦م، والثاني بعنوان: «صدى إيماني»، وصدر في عام ١٩٧٦م، والثالث بعنوان: «نبضات شاعرة»، وصدر في عام ١٩٨١م، ولها ديوانان مخطوطان هما «همسات عابدة»، و«آخر المطاف».

أنشأت هي وزوجها «السيد ندا» مجلة الأهداف في عام ١٩٤٨م، واستمر صدورها شهريًا نحو عشرين عامًا، يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي: «وتخرج الشاعرة مجلتها الشهرية «الأهداف»، منذ أمد طويل، مضحية بالكثير من مالها وصحتها.

واسم «الأهداف» الذي اختارته الشاعرة لمجلتها يفسر كثيرًا من لغز حياتها، فهي شاعرة الأهداف والمثل والمبادئ والروح والأخلاق والدعوات الجميلة في الحياة»[(٢)].

تعرفت على الأديبة «مي زيادة» وقويت علاقتها بها، فنشرت لها بعضًا من أدبها شعرًا ونثرًا، ودعاها الدكتور أحمد زكي أبو شادي إلى الانضمام إلى جماعة «أبولو» ونشر أدبها في مجلتها، وأكبر الظن أن هذه الدعوة الكريمة كانت بدء انطلاقها الشعري.

وقد ظلت الأديبة تعمل مدرسة بالتعليم الثانوي، وقضت فترة طويلة في مسقط رأسها بالمنصورة، إلى أن انتدبتها وزارة الشؤون الاجتماعية سنة ١٩٤٢م مديرة لمكتب المساعدات الاجتماعية، فاضطرت إلى ترك العمل الحكومي لتتفرغ للأدب والصحافة، كما اشتركت في عدة جمعيات أدبية بعد جماعة «أبولّو» مثل: جامعة أدباء العروبة، وجمعية أدب الفكر الحر، ومجمع الأدب العربي

---

(١) الشعر والتجديد، د. محمد عبد المنعم خفاجي، (ص١٠٢)، دار المعهد الجديد للطباعة، رابطة الأدب الحديث.

(٢) المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

الذي انتخبت رئيسة له[١].

وقد ظلت أديبتنا عاكفة على تصوير الحياة الاجتماعية وإصلاحها، فكونت في المنصورة أول جمعية أدبية باسم: «أسرة الثقافة»، وقد تخرج في هذه الأسرة كثير من الشعراء والأدباء، بتوجيه وتشجيع من الأديبة تقول: «ولكم أسعدني وما زال يسعدني أنني أدّيت رسالتي، أدّيتها في سخاء، ولكم يزهيني في سكون أن أرى تحت أنظار الجمهور ديوان شعر لشاعر أو قصة لقصاص أو دراسة لأديب، من إيحائي وتوجيهي، وهذه هي رسالتي، أن أكون كالضوء أعمل في سكون وخفاء»[٢].

وتعلل الأديبة لاتجاهها للأدب والصحافة فتقول:

«وآثرت العمل في حقل الصحافة الأدبية لتكون منبرًا لإذاعة وسائل الإصلاح، وعلاج مشاكلنا متخذة من أدبي الشاعري وسيلة للنفوذ إلى القلوب والضمائر، وقد نجحت والحمد لله، وأصبح لي مدرسة في مصر وجميع البلدان العربية والشرقية، وعشاق الضاد في البلاد الأجنبية، ووسيلتي إلى ذيوع رسالتي مجلة «الأهداف» التي أحررها وأخرجها مع زوجي الأستاذ: سيد ندا، ونخبة ممتازة من رجال العلم والأدب والاجتماع والدين والشعر والتربية والإصلاح عدا الصحف والمجلات التي أنشر فيها أحيانًا استجابة لدعوة كريمة»[٣].

ومن مؤلفاتها الأدبية[٤]: النسمات «مقالات اجتماعية وأدبية وخواطر»، المرأة الرحيمة «مسرحية وطنية»، و«الطائر الحائر» قصة اجتماعية، والأميرة، والراعية، وأماني «قصص تحليلية اجتماعية فلسفية»، أدب الربيع، وهندية وإيمان الإيمان «قصص»، قضية فلسطين «دراسات شاملة»، أرواح تتآلف «قصة في رسائل»[٥].

٢- روافد إبداعها الأدبي:

الطبع والموهبة والملكة الفطرية، فقد امتلكت الأديبة جميلة العلايلي تلك المقومات الأدبية التي عبر عنها ابن قتيبة بقوله: «والمطبوع من الشعراء: من سمح بالشعر، واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع، ووشي الغريزة، وإذا امتحن

---

(١) الشعر المصري بعد شوقي، الحلقة الثالثة، د. محمد مندور، (ص٦١، ٦٢)، دار نهضة مصر.

(٢) الشعر والتجديد، د. محمد عبد المنعم خفاجي، (ص١٠٦، ١٠٩).

(٣) المرجع السابق، (ص١١٠، ١١١).

(٤) السابق نفسه.

(٥) لم تحظ الأديبة مع كثرة إبداعها الأدبي إلا بدراسة للماجستير بعنوان «جميلة العلايلي حياتها وشعرها» للباحث أحمد الدماطي، في كلية دار العلوم بالقاهرة، وبحث للباحثة بعنوان: «النزعة الوجدانية في ديوان نبضات شاعرة لجميلة العلايلي» دراسة موضوعية وفنية، منشور في كلية اللغة العربية بالمنصورة.

لم يتلعثم، ولم يتزحزح»[١].

وقد عبّرت الأديبة عن تلك الموهبة مخاطبة ولدها جلال قائلة في قصيدة «أخاف عليك»[٢]:

يـــا طـــائري فـــي مثـــل سِنّـــ ـــك كُنْـــتُ أكتـــبُ هـــل دريـــتْ
واجتـــــزتُ عمـــــر طفـــــولتي أتلُـــــو وأروي مـــــا كتبـــــتْ
منـــــذ الطفولـــــة كنـــــتُ أَحْيَـــــا غيـــــر كتبـــــي مـــــا أردتْ
إن لـــــم تُقـــــوّ بنـــــاء ذِهْنـــــ ـــك لـــن تفـــوزَ بمـــا رجـــوتْ

وهذه الموهبة صَقَلَتْها أديبتنا بالاطلاع الواسع على الثقافة العربية والشعر العربي قديمه وحديثه، ومطالعة شعر الرواد من أمثال: المتنبي والبحتري وشوقي فضلًا عن النثر الأدبي بروائعه، تقول الأديبة[٣]: «ولو أنك خلوت بنفسك تقرأ القصائد الفنية في شعر شوقي والبحتري والمتنبي بنغمها الخالد القديم لسبحت بروحك في عالم اللانهاية، حيث الفن الرائع الخلاب، وكذلك الحال إزاء مبدعات النثر الفني الرائعة قديمها وحديثها حيث يجتمع الخيال وجمال المعاني الدقيقة والألفاظ الرشيقة السحرية».

ومن أقوى المؤثرات في فنها الأدبي: تتلمذها على جيل الرواد الكبار، وتأثرها بالمطالعة لأدبهم تقول الأديبة: «وفي خلال دراستي كنت لا أطالع إلا الأسلوب القريب من أسلوب «مي» وأميل إلى العمق والبحث والتحليل والفلسفة، قرأت طاغور وغاندي وإقبال والرافعي وأحمد حسن الزيات وأحببتهم جميعًا وعشت في دنياهم كأني تلميذة لهم»[٤].

كما كان لتشجيع الأدباء وتقديرهم لموهبتها وفنها أكبر الأثر في مدّ روافد إبداعها الأدبي تقول: «ولا أكتم أن من أقوى بواعث تفتح شاعريتي تشجيع المرحوم أحمد زكي أبو شادي، وتقدير شاعر القطرين خليل مطران لي، والمرحوم الدكتور زكي مبارك، والدكتور إبراهيم ناجي»[٥].

ومما يدل على أصالة موهبة الأديبة «جميلة العلايلي» إصرارها على الحياة الأدبية رغم محاربة الأسرة لموهبتها بإرغامها على دراسة التدبير المنزلي، وإعدادها لإتقان شئون البيت، ولكن ذلك كان من أقوى الدوافع لإثراء تلك الموهبة تقول الأديبة: «كانت تريد أسرتي المحافظة على الدين والتقاليد إعدادي لإتقان شئون البيت، وخلال دراستي الابتدائية مرض خالي بعد وفاة والدي فألزمني بمطالعة

---

[١] الشعر والشعراء لابن قتيبة، (٩٠/١)، ط دار المعارف، ١٩٦٦م.

[٢] ديوان نبضات شاعرة، جميلة العلايلي، (ص١٤٢).

[٣] مجلة أبولو، المجلد الثاني مقال بعنوان : «الفنون الجميلة» لجميلة محمد العلايلي، (ص٩٤٧).

[٤] الشعر والتجديد، (ص١٠٤).

[٥] الشعر والتجديد ، (ص١٠٨).

الصحف له .... واسترعى انتباهي مقالات الأديبة «مَيّ»، فبدأت أطالعها لنفسي أكثر مما أطالعها له، وأستعين به في تفسير ما يصعب عليَّ فهمه في ذلك الوقت، إذ كان أدبها أرفع من إدراكي بكثير. ووجدتني أتوق إلى الكتابة وأندفع دون وعي إلى تصوير كل ما يحيط بي ويحدث لي في المدرسة .... ورغم محاولة الأسرة في إيقاف تيار أخيلتي وكتابتي كنتُ أكتب مختبئة في أي مكان، وأرغمتني أسرتي على دراسة التدبير المنزلي، وفي خلال هذه الدراسة تعلّقت بأدب «ميّ» ... وهي أول من ألهمني الشعر، وأول من كتبت إليها ... وفجأة بعث إليَّ المرحوم الدكتور أبو شادي يدعوني لنشر أشعاري في مجلة أبوللو، وتفتحت أمامي على ضوء تشجيع الشاعر الفذّ والإنسان الأصيل الدكتور أحمد زكي أبي شادي آفاق الشعر والأدب، وفتحت لي الصحف اليومية والمجلات أبوابها، فرحت أنشر كل ما يعنّ لي في المناسبات الوطنية، ولكن طبيعتي كانت أوفر ميلًا للإصلاح الاجتماعي، لأنه النواة الأساسية في تدعيم الوطن الصالح»[(١)].

فقد تأثرت أديبتنا كثيرًا بأدب الأديبة «مي» لكثرة مطالعتها لمقالاتها، فضلًا عن تشجيعها للأديبة، وإيحائها لها بعظمة الحياة الأدبية للمرأة تقول الأديبة عندما حضرت صالون الأديبة «مي»: «وكان يومئذٍ يؤمّ صالونها كبار الأدباء وهم في حضرتها كأنهم أطفال صغار يتلمسون منها الوحي والمعرفة، وتجسّم في خاطري في التّو عظمة الأدب والنبوغ وقوة المرأة الملهمة الجبّارة ... وخرجت من عندها أتوق إلى أن أكون مثلها، لي رسالة فوق الرسالات لا أقيم وزنًا للألقاب والشهادات»[(٢)].

كما كان لتشجيع الدكتور أحمد زكي أبي شادي أكبر الأثر في إثراء موهبتها الأدبية، فضلًا عن تعرف الناس على أدب الأديبة، وترحيب أصحاب الصحف بمقالاتها، لتقديم أبي شادي لدواوينها، ونشر أدبها شعرًا ونثرًا في مجلة أبولّو.

٣- مكانتها الأدبية:

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي: «إن جميلة العلايلي شاعرة صادقة الإحساس بالجمال في الفن والحياة، إنسانية في روحها وفي تجربتها الفنية، وفي كل خطرة من خطرات فكرها في شعرها ونثرها، فهي في «هندية»، وفي «أدب الربيع»، وفي كتابها «فلسطين»، وفي مقالاتها في «الأهداف» شاعرة، مثلها في دواوين شعرها الجميل القوي النابض بالإحساس والروح والحياة»[(٣)].

وهذا الرأي يبين مكانة الأديبة، ويضع أدبها في مكانه الذي يستحقه، ويلقي الضوء على خصائصها الروحية والأدبية، من قوة الإيمان، وصدق الوجدان، وغلبة النزعة الإنسانية، وطابع الشعرية الذي يميز فنها النثري.

---

(١) المرجع السابق، (ص١٠٢: ١٠٦).

(٢) المرجع السابق، (ص١٠٤، ١٠٥).

(٣) الشعر والتجديد، د. محمد عبد المنعم خفاجي، (ص١١٨).

فالشاعرية هي مصدر القوة في مقالاتها، وهي التي ساعدتها على سيطرة الطابع الذاتي على مقالاتها، إذ يلمح القارئ تميز أسلوبها الأدبي بتصوير عاطفتها القوية، وآرائها الشخصية.

وعد الدكتور أحمد زكي أبو شادي ديوانها: «نبضات شاعرة»: «ثروة جديدة تضاف إلى شعرنا العربي الحديث قوامها المثالية الروحية العزيزة»[١]. لما يحتوي من قيم إنسانية، وعاطفة صادقة، وتَغَنٍّ بالحب وجمال الطبيعة.

وعدها الدكتور محمد مندور: رائدة من رائدات شعر الوجدان النسائي، وشاعرة وجدانية ذات طاقة قوية[٢]. لتميز شعرها بالنزعة الوجدانية، لقوة العاطفة وصدق الوجدان، وبراعة التصوير، والترجمة الذاتية للحياة التي مرت بها الشاعرة.

٤- التعريف بفن المقالة:

وردت المقالة في معاجم اللغة مأخوذة من مادة القول، ففي لسان العرب: القول: الكلام على الترتيب، قال يقول قولًا وقيلًا ومقالًا ومقالة[٣].

وفي المعجم الوسيط: «قال قولًا، ومقالًا، ومقالة: تكلم، والمقالة: القول، والمذهب، وبحث قصير في العلم والأدب أو السياسة أو الاجتماع ينشر في صحيفة أو مجلة»[٤].

وقديمًا قال حسان[٥]:

وإن قال في يومٍ مقالة غائبٍ فتصديقها في اليوم أو في ضحى

وقال الحطيئة[٦]:

طويتُ مهامهَ مَخْشيةً إليك لتُكْذبَ عنّي المقالا

ويرى بعض النقاد: أن المقالة ليست غريبة عن الأدب العربي القديم، وإن تغيرت صيغها وشروطها، وتمثلت على أحسن صورها في الرسائل، وخاصة الإخوانية والعلمية، فعبد الحميد حين تكلم عن الشطرنج أو الصيد أو الكتابة كان يكتب شيئًا قريبًا من المقال، والفصول الأدبية التي أنشأها الجاحظ في كتبه: البخلاء والمحاسن والأضداد، والحيوان والبيان والتبيين، مقالات مطولة تنقصها شروط المقالة الحديثة، وربما كانت أقدم صورة للمقالة هي صورة الشخصيات النمطية،

---

[١] ديوان نبضات شاعرة، جميلة العلايلي، (ص٨).

[٢] الشعر المصري بعد شوقي، الحلقة الثالثة، د. محمد مندور، (ص١٥٠، ١٥١).

[٣] لسان العرب، لابن منظور، مادة قول (٥٣٩/٧، ٥٤٠)، ط١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار الحديث.

[٤] المعجم الوسيط، (٧٧٧)، مجمع اللغة العربية، ط٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٥م.

[٥] ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: د. سيد حنفي، (ص٣٧٧)، دار المعارف.

[٦] ديوان الحطيئة، د. يوسف عيد، (ص١٥١)، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

وكذلك الصور القلمية في مثل: «رسالة التربيع والتدوير» للجاحظ [١].

ولكن هذا الرأي يناهض من قبل بعض النقاد؛ بأن المقالة فن حديث أخذناه عن الغرب ونشأ في حضن الصحافة، ولا مانع من التوفيق بين الرأيين بأن الأدب العربي عرف فن المقالة في قالب أطول من المقالة الحديثة سمي بفن الرسائل، أما المقالة في صورتها الحديثة فقد تطورت مع الصحافة، مما سوف يتضح في أثر الصحافة في المقالة.

واختلفت المقالة في أدبنا العربي عما أراده «جونسون» بتعريفه للمقالة «بأنها نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام، هي قطعة لا تجري على نسق معلوم، ولم يتم هضمها في نفس كاتبها» [٢].

وكذلك عما أراده «بيكون» بقوله: «أنها ملاحظات مختصرة كتبت من غير اعتناء» [٣].

فقد اشترط النقاد في المقالة شروطًا أخرى غير تلك التي سار عليها الغربيون «ورأوا أن الكاتب ملزم بالتفكير فيما يريد أن يكتب قبل أن يتناول القلم، ثم السير في موضوعه سيرًا منطقيًا متجنبًا الفضول، ومركزًا فكره في النقط الرئيسية، على أن يكون لموضوعه وحدة تربط بين أجزائه، وأن يكون واضحًا في تعابيره، منتخبًا لكلماته، ولأسلوبه طلاوة وعليه جمال وقد يحتاج المقال إلى مقدمة، وقد لا يحتاجها، ولكن لابد من نتيجة أو خاتمة، ولابد من تنسيق الأفكار، فالأفكار غير المنسقة تدعو إلى اضطراب الكاتب في كتابته، وعدم فهم القارئ لما يكتب» [٤].

فهذه الشروط تقرر اختلاف المقالة في أدبنا العربي عن الأدب الغربي، فالمقالة تخضع للفكر المنظم، والترتيب المنطقي، والإيجاز في عرض الأفكار، والترابط الفني بين الفقرات، ودقة اختيار الألفاظ الملائمة للمعاني، والوضوح الذي ينفي كل إبهام في الأسلوب، مع تحقق الجمال والرونق فيه، والتركيز على الخاتمة والنتيجة للمقالة حتى وإن لم يبدأ الكاتب موضوعه بمقدمة، وتنسيق الأفكار وترتيبها في الألفاظ، بعدم الانسياق وراء الخواطر والانفعالات، حتى لا يؤدي ذلك إلى الغموض وعزل المتلقي بعيدًا عن فهم المقالة، لاضطراب الفكرة في ذهن الكاتب، وعدم تمكنه من التعبير عنها، إذ الغموض لا يحقق أسرًا للنفوس، ولا يثمر أدبًا.

---

[١] يراجع: الأدب وفنونه، د. محمد مندور، (ص١٩٤)، ط٢، دار نهضة مصر، فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص١٧: ٢٠)، في الأدب العربي الحديث، د. عمر الدسوقي، ج١، (ص٤٠٩)، في الأدب العربي المعاصر، د. إبراهيم عوضين، ج١، (ص٩٥ :١٠٠).

[٢] فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص٩٣، ٩٤).

[٣] في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، (ص٤٠٩).

[٤] المرجع السابق، (ص٤٠٩، ٤١٠).

موضوعات الفن المقالي:

«كل موضوع في الحياة صالح لأن يكون موضوعًا للمقالة من الذرة الحقيرة إلى الشمس الكبيرة، ومن الرذيلة إلى الفضيلة، ومن كوخ الفلاح إلى قصر الملك، ومن الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، ومن أقبح قبيح إلى أجمل جميل، ومن الحياة إلى الموت، ومن الزهرة الناضرة إلى الزهرة الذابلة، ومن كل شيء إلى كل شيء»[(١)].

فالموضوعات التي يدور حولها الفن المقالي يصعب تحديدها؛ لأنها تتنوع بتنوع التجارب الإنسانية، وتتعدد بتعدد موضوعات الحياة، وقد كتبت الأديبة بقلمها الثّر شتى ألوان المقالة، التي تناول البحث أبرزها في إطار المقالة الذاتية التي تعكس مشاعر الكاتبة تجاه ما ستتناوله من أحداث وقضايا، محتفظة بطابعها الخاص، وقسماتها المميزة.

فالمقالة: فن أدبي يصور فيه الأديب «تجربة عقلية ووجدانية مرّ بها الكاتب وتمثل خطوطها وألوانها وعبر عنها بأسلوبه الخاص الذي يحمل طابع شخصيته، فهي بهذا تنضح بالذاتية، وتمثل شخصية الكاتب أصدق تمثيل»[(٢)].

وهي في الغالب تعتمد على الإيجاز والتركيز، والتنسيق في المعاني والألفاظ والصور والإيقاع، لتحقيق الغاية بالتأثير والإقناع.

فالإيجاز والتركيز من أهم ما يميز المقالة، والتعبير عن وجهة النظر الشخصية والإقناع والإمتاع[(٣)].

٥- منهج الأديبة في مقالاتها:

أنشأت الأديبة «جميلة العلايلي» مجلة «الأهداف» وقدمت فيها غاية جهادها الأدبي الثرّ جنبًا إلى جنب مع الشعر، لتحقيق أهدافها المنشودة من الإصلاح، فكانت منبرها الحرّ الذي يصدع بالخير والحق والقيم الإسلامية، على امتداد عشرين عامًا متصلة ترهف الأسماع، وتطرب النفوس، وتغذي العقول، مستمدة من أسلوبها الشعري وسيلة للنفاذ إلى الضمائر والقلوب، وقد حرصت الأديبة على الالتزام بمنهج خاص التزمته في مقالاتها، بل حرصت على أن تكون مقالات الكتاب الذين تنشر لهم «الأهداف» منتمية إلى ذلك المنهج فتقول: «وها هي الأهداف ... منبر يعتلي عليه كل من يجيد النقد والإرشاد والتوجيه والإصلاح، لا فرق بين من يمشي راكبًا أو راجلًا، وغرضنا صريح نبيل هو إنقاذ الفكر الإنساني والوعي الروحي من عثرته والدين السليم من مغريات الأباطيل»[(٤)].

---

(١) فيض الخاطر، أحمد أمين، ج١، (ص١٧٩).

(٢) فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص١٢٠).

(٣) على هامش الأدب والنقد، علي أدهم، (ص٢٠٢، ٢٠٣).

(٤) مجلة الأهداف، العدد الأول، السنة الأولى، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م، المقالة الافتتاحية لجميلة العلايلي، (ص٣) بعنوان: أهدافنا.

وتتضح ملامح المنهج في مقالات جميلة العلايلي فيما يأتي:

١- صدرت جميلة في مقالاتها عن فكر حرّ، ورأي مستقل وهدف سامٍ، فلم تحاب أحدًا، ولم تتملق بكتابتها أحدًا، بل صدرت عن قناعتها الذاتية، وقد أدركت أديبتنا خطورة هذا الموقف بقولها: «ونحن نقدر خطورة موقفنا ومدى الشوط المقدر علينا اجتيازه وما يبدو فيه من أشواك وصخور، ولكنا توكلنا على الله وهو نعم الوكيل» [١]، مما سوف يتضح في المقالة السياسية.

٢- من أهم الأسس التي بنت الكاتبة فكرها عليها: الاستضاءة بهدي الإسلام والقناعة بعظمة أهدافه والتأكيد على قيمه

٣- ملاحقة الظواهر السلبية في مختلف مناحي النشاط الإنساني في مصر وسائر البلدان العربية فلم تحصر الأديبة رسالتها عند حدود وطنها فتقول: «فقد أخذنا على عاتقنا بعون الله أن نمد يدنا لكل من ينشدنا المعونة ونجعل من أهدافنا مرآة تعكس خواطر كل مصلح وكاتب ومفكر وموجه وناقد، محاربين الظلم والأثرة والحقد والتنابذ والحرب والرياء والنفاق» [٢].

٤- حددت جميلة أهدافها من الإصلاح والتنوير وتحرير العقول، والنضال الأدبي بالكلمة المؤثرة، والفكرة الصحيحة، امتدادًا لدعوات الأنبياء والرسل عليهم السلام بقولها: «إننا لم نخلق عبثًا، بل خلقنا لنؤدي رسالة الكل إلى الكل رسالة الحب والخير» [٣].

٥- السمو في التعبير، والحرص على الأداء القوي الذي يبرز الفكرة تقول: «من الخير أن يحدد كل إنسان هدفه ليسير على منهج مستقيم يرسمه لنفسه يتفق مع أنبل المقاصد وأسماها لكي تتحد أهداف الجماعة، وبذلك يقوى إحساس الشعب الروحي وينظم تفكيره القوي فيستطيع أن يكافح ويناضل ليبلغ هدفه المرموق ...» [٤].

حملت الكاتبة بين جنبيها روح المصلح، وهمة المناضل، وبلاء المجاهدين، ولم يقتصر جهدها على ما تكتبه في «الأهداف» بل جعلت الإصلاح هدفًا منشودًا في سائر ما ينشر على صفحاتها، ويقبل ممن يكتبون فيها: «إن مهمة صاحب الرسالة مهمة نبي ورسول فعليه إذن أن يحافظ على كيان النبوة والرسالة وذلك برعاية الحق والخير والفضيلة والصدق والأمانة والعدالة» [٥].

برزت شخصية جميلة العلايلي واضحة في جميع مقالاتها لأنها تصدر عن حس مرهف ووجدان صادق.

---

[١] المرجع السابق نفسه.

[٢] المرجع السابق، (ص٣).

[٣] المرجع السابق، (ص٢).

[٤] المرجع نفسه، (ص٣).

[٥] المرجع نفسه، (ص٢).

المبحث الأول

المقالة الأدبية

هي التي تتناول شئون الأدب والثقافة، وقد نشطت على يد جيل من الأدباء: كالرافعي، والعقاد، وطه حسين، والمازني، حتى أصبحت أثرًا فنيًا قيمًا، تمس القلوب وتثير العواطف، وقد اتسعوا بها إلى مباحث عميقة في الأدب والنقد والفنون الجميلة، والنظريات الفلسفية والاجتماعية، مستهدين في ذلك بالمثل الإنسانية العليا مثل الخير والحق والجمال[(١)].

فالمقالة الأدبية تعرض لكل شئون الحياة: السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية وغيرها، لكنها وسمت بالأدبية بالنظر إلى أسلوبها، حيث ينبغي أن تتوافر فيها كل شروط الأسلوب الأدبي وخصائصه، حيث يجب أن يكون أسلوبًا أدبيًا راقيًا، لا سقط فيه ولا ابتذال، ولا عامية، ولا سوقية، واختيار الألفاظ الجزلة المعبرة التي تشع بالعاطفة، وتثير الانفعال، وتهتم بالصنعة البيانية، والعبارات الموسيقية، فميدانها الذي تتوجه إليه عين الكاتب إنما هو الفن بفروعه المتنوعة، سواء أكانت أدبًا أم تصويرًا أم رسمًا أم موسيقى أم تمثيلًا، وسواء ما يرجع في هذه الفنون إلى الأعمال الإبداعية وتقويمها، أم القضايا المتعلقة بها مثل الطبع والصنعة، أو الموهبة والتكلف[(٢)].

أولًا: المقالة النقدية:

وتعتمد في المقام الأول على ذاتية الناقد وتذوقه الشخصي، وتتطلب كذلك إلمامًا كبيرًا بفنون الأدب المختلفة، واستيعابًا لها، وحسًا دقيقًا لتقديرها، وثقافة واسعة، وإدراكًا للأسرار اللغوية، وقدرة على الموازنة، واستخلاص النتائج معززة بالأدلة الواضحة الصادقة[(٣)].

ومن مقالاتها الأدبية والنقدية مقالة بعنوان: «المرأة والشعر العاطفي»[(٤)] تقول فيها: «لكل فتاة مثلها العالي وعلى قدر تطلعها إلى الحياة يكون مبلغ أملها المنشود، وما من فتاة إلا لها حسّها الموهوب، ولكل حس نزعة توافق ميول صاحبته مرتبطًا بمعارفها وتربيتها وتعليمها، فمثلًا الفتاة التي نشأت في عقر دارها بين بيئة تميل إلى احترام القديم المحدود النواحي المقيد الرغبات، هذه الفتاة قلما تنال حظها الموفور من العاطفة المرجوة وهي أبدًا تطمع في شيء محدود كل همها أن تهدأ إليه، حتى إذا جاءتها الحياة بمثيل لما ترجو فرحت واغتبطت بالعطية، على أنها إذا تركت وحدها في

---

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف، (ص٢٠٧)، طبعة دار المعارف الثالثة عشرة، مكتبة الدراسات الأدبية (٤).

(٢) فن المقال في الأدب المصري الحديث، دراسة فنية تاريخية، (ص٩٥)، د. أحمد محمد علي حنطور، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

(٣) فن المقال في ضوء النقد الأدبي الحديث، د. عبد اللطيف الحديدي، (ص٢٠٧)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٤) مجلة أبولو، المجلد الثالث، (ص٣٧٨: ٣٨٣).

الطريق تلفتت يمنة ويسرة كغريب في دنيا جديدة، كل ما تعلمه لا يخرج عن دائرة المعارف البسيطة التي لا تؤهلها عن جدارة لإدارة بيت جديد، وهي التي حملت الرجال على استضعاف المرأة والتحفز دائمًا إلى امتلاك كل ما يطيب لهم، أما الفتاة التي نالت من الثقافة والتحرر الفكري قسطًا، فهي التي تستحق بحق الدرس والتحليل لنبلغ بها غاية الكمال، وهي مناط تفكيري اليوم، هذه الفتاة المثقفة المستنيرة التي في استطاعتها السمو بنفسها على ضوء شعورها وإدراكها وتفكيرها، وهي التي تستطيع أن تخلق من هذه المعاني عاطفة جليلة عتيدة تحملها على الهروب دائمًا من دنياها المحدودة إلى دنياها اللامحدودة إذ تشعر أنها أشبه بإله صغير في مقدوره أن يعيش لنفسه وللحياة، وفي مقدوره أن يخلق ويبدع، وفي مقدوره أن يشعر ويحس ويصور ما يريد.

هذه الفتاة التي تتعالى بنفسها إلى أعلى مراتب الحياة لا تقنعها ظواهر السطحيات بل تتغلغل في أعماقها لتخرج مكنونها الدفين.

هذه الفتاة خلقت لترينا مشاعر المرأة الكاملة، وخيالاتها المارحة وأحلامها الساحرة، وهي التي تشعرنا بروعة العاطفة الخطيرة عن طريق خيالها الخصب من وراء فلسفتها المتواضعة، وبينا هي ترقب العوالم لترصد الأفلاك تراها بجوارك كأنها حقيقة ملموسة وما هو إلا خيالها يتلاعب بذهنك في غير هوادة. هذه الفتاة هي الفتاة الشاعرة، وقد تختلف مشاعرها باختلاف أخيلتها، فقد تعرضها في شبه صور على لوح رسّامة، أو مجسمة على حجر فحّارة، أو على ورق بقلم شاعرة فنانة، هذه الفتاة التي تجتاز ربيع عمرها الشعري في شبه عمر المفكر الكهل يعيبون عليها «الشعر العاطفي» ولست أدري أي معنى يعيبون؟ أسدّت دونهم أبواب الحقائق؟ يا لله! بأي عين ينظرون، وبأي قلب يشعرون، وبأي عقل يفهمون؟ أتراهم لا يفقهون؟!

أخشى أن يكونوا كذلك ونحن على عتبة جيل جديد نوّد له الجدة في الميول والمشاعر والعاطفة النبيلة الطهور، ثم أي دين حرَّم على المرأة الشعور العاطفي وحلله للرجل؟ المرأة التي خلقها الله إلهة للعاطفة وحدها، أي قدرة تنزع عنها اليوم غلالتها السحرية ومن يجرؤ على تلك المحاولة؟

لا أنتم الخاطئون إن حسبتم عاطفة المرأة إثمًا وبهتانًا.

على أني لا أحاول هنا تصوير عاطفة المرأة، ولكني أحب أن أصوّر ناحيتها الشعرية وتأثيرها في حياتها العاطفية، وكيف يلعب الخيال دوره بمهارة على مسرح شعورها حتى يهيب بالمتعنتين إلى تصديق ما يعرض أمامهم على لوحة الشعر التصويري.

يا لهول الحياة من المرأة الشاعرة، إنها تخضع الحياة لها في غير تهيّب بينا هي تخضع بدورها لخيالها الطليق الجبّار، وعلى قدر نصيب المرأة من تذوق الفن يكون حظها من الشعور.

«هذه صورة فتي جميل الطلعة قوي البنية يجلس كالحبيس تحت ظل غمامة تسد أمامه الطريق ولا حيلة له غير الإطراق الكسير» هكذا يبدو على لوح فتاة فنانة، أو هكذا صوّر بقلم فتاة شاعرة، أترى صاحبة الرسم أو الشعر عاشقة؟ أكاد أجزم إن كل من يشاهد الصورة أو يقرأ المقطوعة

يعترف بذلك!

ولكن مهلًا: دعوني أسألهما معًا: علام اخترت يا صاحبتي هذا الشاب رمزًا لفنك؟ وتفتّر شفتاها عن بسمة العزاء ... وأقسم أنها ترثي الذهن الغَرور، وبعد أن تلقي الفنانة محاضرة طويلة في معنى الخيال والفن والشعور نفهم أن الرجل يماثل القوة، والغمامة سحابة الأقدار، ومنهما معًا جاءت بصورة ترمز إلى القضاء الغالب، وها نحن أمام جوابها وتجاه رسمها نصمت إذن! فالصورة الفنية التي تبدو أمامنا، وراءها دائمًا ما وراءها من عوالم لا تراها بالعين المجردة! بل لابدّ من استصحاب المجهر، ومجهرنا الفكر المحرر والخيال الخصب.

وقد تتعدد صور العاطفة المرغوبة حسب استعداد قوى المرأة المعنوية سواء أكان ذلك عن طريق قلبها أم روحها، وهناك فريق من الناس لا يفرق بين عاطفتي القلب والروح، ولكني أنا أفرق بينهما، القلب عندي مولد كهربائي يمكن تحديد أضوائه حسب ما نبغي، ولابد من وجود المؤثر والمتأثر.

وهل يمكن لعليل القلب أن يحيا طويلًا؟ محال! أما الروح فهي قوة الجذب الممغطسة، قوة الجذب التي تسير الأفلاك والعوالم كلها، فنحن نعرف أنها كل شيء ومع ذلك فهي «لا شيء» وهي النور والحرارة معًا نحيا بهما، وإذا فنينا يبقى السر خالدًا طي الخفاء.

فالمرأة الشاعرة عندما تجتاز حدود دنياها إلى الفضاء اللامحدود تمر بأخيلة لا عهد لها بها، بعضها يروقها فيكهرب أعصابها حتى تعود مأخوذة بسحره، وعلى ضوء هذا السحر الفياض تكشف لنا ما وراء الضوء أو ما يخبو خلف الظلام، متحدثة عما تروم عن طريق نفسها كأنها هي الخيال الذي لقيته هناك، حتى إذا قرأنا قولها حسبناه حقيقة لا ريب فيها، ولعلها صنعة جديدة لحبك الخيال، وهي بحق جديدة لأنها تهيب بالرجال الأذكياء إلى الاعتقاد بأن قولها هو الحق، بل يبلغ منها القدرة أحيانًا على أن تحمل البعض منهم إلى تسمية هذا الطراز من النساء «الشاعرة الذاتية».

وهنا أمرّ على هذا التعريب الجديد دون أن أرمقه ما دمت قد وضّحت كيف يثور خيال المرأة إلى تسطير ما ترجو، وما دام الإنسان أبدًا متسرعًا في الحكم على ما لا يعرفه، وإذا كنا نجهل مجريات الكون العادية بعد أن قطعنا أعمارنا في تفهم مغزاها ومرماها، أيمكن للرجل – مهما كان – أن يدرك كنه امرأة وهي لغز ألغاز الكون؟! إن من يجرؤ على تعريف ذلك أو تحديده يكون دعيًّا!

هذه فتاة لها حظها من الشعور الموهوب تعيش على ضوء خيالها قانعة بالحياة في بهو أحلامها السمحة تحت تأثير الطبيعة أحيانًا، تواجه الشروق فيبهجها ويولد كهرباء أحلامها البهيجة فتجنح إلى أفق السماء، وترتفع بنفسها إلى مستوى الملائكة حيث يأخذها سحر الخيال ويروي عطش روحها الظمأى فتشعر وتدرك، ثم تهبط إلينا على شدو إعجابها بملاك!

فهل معنى ذلك أنها أحبت رجلًا وارتفعت به إلى مصاف الملائكةp هناك؟ لماذا لا نقول: إنها تحب مثلها العالي المجهول شبيهًا بخيالها العالي، ولماذا لا تترنم به كأنه شيء محسوس؟ هل

هناك ضير من ذلك؟ ويمكنها أن تقول:

سلني مليك عواطفي المحبوبا سلني عن الحب المذيب قلوبا!

وها هي في موقف آخر أمام الغروب تبكي خيال الوداع لكل راحل، وتتلاشى أمامها الحياة وراء اللاشيء، فتطمئن إلى دموعها وهي تنهمر في شبه نقط لها معناها لو نظمتها لكانت قصيدة رائعة، وقد تتخيل الغروب – قلب الحياة – يخفق لآخر مرة فتود لو تفدي هذا القلب الكبير بقلبها الصغير وترضى بدموعها الشعرية عزاء وكأنها تقول:

أعطني بالقلب شعرًا إنه روح طهور!

ومع أن التعبير – باعتراف شاعر ناهض – يكاد يشتبه فإني أعود وأعترف بأن المعنى غير شَبِيهِه، ولكل موضع خياله، وسرهما طيّ الخفاء.

وقد يبلغ الفكر بالفتاة أحيانًا إلى حد مهلك فتأسى بما تسوقه الأقدار إلى كل عظيم النفس كبير القلب، وتستصغر ما تعانيه نفسها الهائمة الحيرى وتخاطب نفسها:

وأحيا في الحياة ولست أدري علام الفكر والأقدار تسري؟!

ومع اعترافها بذلك فإنها تعود لتفكر حتى تتحطم قواها أو تكاد ورغم ذلك يحلو لها أن تفكر لأنها تعتقد أنه لابد من التفكير ما دامت تشعر، ولابد من الشعور ما دامت تعيش، والفكر عندها وليد الشعور، وعلى ضوئه يبدو التفكير بهيجًا، أو حزينًا صاخبًا أو هادئًا، ثم تعود وتكرر قول ديكارت: «أنا أفكر فأنا إذن موجود» ولكنها تحرف ما يلائمها من الألفاظ فتقول: «أنا أشعر فأنا إذن موجودة» لأن الشعور عندها هو المولد الكهربائي لكل فكر وعلى قدر نصيبها من الشعور يكون حظ الفكرة من القوة أو الضعف، تبكي المرأة على الفقيد بينا تضحك لاستقبال الوليد.

تودع العزيز بدموعها، وتستقبل الجديد ببسماتها، تحب الحياة، ولا تخشى الموت، وتحب الكبرياء، وتحاول التواضع، تحب الشعر لأنه يشفيها وتبغض الشعر لأنه يبكيها.

تلهو بالخيال لأنه عزاؤها، وتصور الآلام وهي سرّ بلائها.

تلك هي المرأة ذات العواطف فلا تطالبوها بأكثر من تصوير ما يلائم عواطفها، ثم غضّوا الأبصار إن تنزلت آياتها العاطفية على قلوبكم الحجرية بلا رنين، فلكل وتر أشجانه.

هي تعزف بيد ليّنة، وأنتم تطالبونها بيد خشنة، فاطلبوا من خالق السماوات وخالقكم أن يبدل النعومة بالخشونة لتكون الأجيال القادمة لا حسّ فيها ولا شعور.

المرأة التي أبحتم لأنفسكم استضعافها يمكنها أن تجتاز عوالم الأخيلة في غير حقد أو ضغينة، تعترف بنبوغ القوي، وتحترم ضعف الشقي تحمل الأول على النهوض بنفسه، وتعمل على مواساة الثاني، لا تحقد على ممتاز ولا تحتقر ضعيفًا، إذ تعتقد أن في يد الأول مشعل الحاضر، وفي يد الثاني مشعل المستقبل قرب أو بعد زمانه، أما أنتم يا من تفاخرون بقوتكم وعبقريتكم فكل ما يحلو

لكم الوقوف على جل المكائد والمصائب والمحن، ترصدون الهنات والسيئات وتوارون الحسنات، وكأنه لا يطيب لكم غير الحرب والخصام! أما المرأة فلا يحلو لها غير الأمن والسلام، وما ضرنا لو تركنا كل شاعر يأخذ حظّه الشعري من أي ناحية يرجوها، وما علينا أن نقرأ شعره على ضوء خياله هو، لا من وراء خيالنا القاصر، فهو الذي رأى وتأثر وحكى وأنشد، وليكن شعره أنينًا أو رنينًا، لا تقولوا: ما أضعف الشاعر وما أقواه، فذلك إلحادٌ لحق مشروع، إن الشاعر وسيط بين الفن الخفي والملموس، فعلى الضوء العتب إن قصر وله الحمد إن أجاد، والضوء هناك يرتكز في قلوبكم وضمائركم وعيونكم فما ضرّكم لو قلتم: هكذا قلتَ، ولكننا نحن نقول، ولكل أتباعه وأنصاره، وللتاريخ الأدبي كلمة العدالة المطلقة، فلا تشوّهوها بفارغ الأقوال ودعوها للزمن، لتكن المرأة مناط المشاعر، ولتصوِّر ما يحلو لها ما دام بريئًا في غير كلفة أو رياء، وليكن الرجل مناط التفكير، وبهما معًا ترتفع الشعوب إلى سماء الحق النزيه».

التحليل الفني للمقالة:

١- العنوان الذي اختارته الكاتبة لمقالتها، هو نفسه محور المقالة المعلن في كل أفكارها: «المرأة والشعر العاطفي».

٢- الفكرة الرئيسة: تدور المقالة حول قضية «الشعر العاطفي للمرأة»، ونقد موقف الناس من تحريم الشعر العاطفي للمرأة، وتحليله للرجل، مع أن طبيعة كلٍّ من الرجل والمرأة تختلف عن الآخر في التفكير والشعور، فالشعور والعاطفة مناط المرأة، والتفكير مناط الرجل، ولكل شاعر حرية التصوير لعالمه الخاص شدوًا أو شجوًا، ولعل هذا الموقف من شعر المرأة العاطفي يرجع إلى قوة خيال المرأة الشاعرة التي تحبك الصور كأنها حقائق ملموسة، وعدم تمييز الناس بين عالم الخيال، وعالم الحقيقة.

٣- مقدمة المقالة: بدأت الكاتبة مقالتها بمقدمة منطقية تنبئ بالموضوع، وتهيئ القارئ لاستيعابه، وتكشف عن الغاية منه، عن طريق المقارنة وضرب المثل، بعرض المظهر السلبي، والمظهر الإيجابي، بالمقارنة بين موقف الفتاة التي لم تنل حظًا من الثقافة، وقسطًا من التحرر الفكري، وبين أخرى نالت حظًا من ذلك، **أما الأولى:** فهي التي تقنع بالمحدود المقيد من الرغبات، وتشعر بالاغتراب والوحدة في كل ما يواجهها في الحياة، وهي التي حملت الرجل على استضعافها.

وأما الأخرى فهي الفتاة المثقفة المستنيرة التي لا تقنع بالسطحيات، وهي مناط تفكير الأديبة، ومحل اهتمامها؛ لأنها بخيالها الخصب، وروعة عاطفتها هي الفتاة الشاعرة، القادرة على تصوير خواطرها في: «شبه صور على لوح رسامة، أو مجسمة على حجر فخّارة، أو على ورق بقلم شاعرة فنانة»[١]، وهذه الفتاة في عقلها الكبير وعاطفتها القوية «تجتاز ربيع عمرها الشعري في شبه عمر

[١] المرجع السابق، (ص٣٧٩).

المفكر الكهل يعيبون عليها الشعر العاطفي» [١].

٤- عرض الموضوع: تناولت الكاتبة عرض المقالة بأسلوب الحوار «المتخيل» لما يثيره في المتلقي من يقظة فكرية، وتنبيه وجداني تارة، ومرة تؤثر المنهج الوصفي المصور، لما يثيره في المتلقي من نشاط خيالي يستقبل به المشهد تلو المشهد، حتى تتكامل الصورة في الهيئة التي تقدم الموضوع [٢].

والقضية التي تعرضها الكاتبة تنبئ عن تجربة ذاتية عايشت الأديبة أبعادها، فهي رائدة من رائدات «شعر الوجدان النسائي» وشاعرة وجدانية ذات طاقة قوية، استطاعت أن تقتحم هذا الميدان في شجاعة وصدق وإخلاص وفي غير مجافاة للعفاف الذي يزيد المرأة جمالًا، ولذلك كانت تلجأ إلى التقديم لقصائدها العاطفية بأقصوصة مخترعة، تزعم فيها أنها تترجم عن عواطف فتاة غيرها، ولا تتحدث عن نفسها، ومرد هذا حرص الأديبة على المحافظة على تقاليد الأسرة والمجتمع، مما جعلها تقف في منتصف الطريق، فلم تئد مشاعرها وأدًا كاملًا كعائشة عصمت تيمور، أو ملك حفني ناصف، ووردة اليازجي، ولم تتحرر تحررًا كاملًا كنازك الملائكة العراقية، وفدوى طوقان الفلسطينية، فهاتان الشاعرتان قد انتزعتا نهائيًا حق المرأة ككائن حيّ في أن تحب، وأن تتحدث عن حبها أو تتشوق إليه، وهذا أمر تقره الفطرة البشرية؛ لأن للمرأة قلبًا كقلب الرجل، وإحساسًا كإحساسه إن لم يكن أقوى [٣].

وتدافع أديبتنا عن هذا الاتجاه في شعرها فتقول متوسلة بالمنطق والحوار الهادئ المدمغ بالحجة القوية: «أي دين حرَّم على المرأة الشعور العاطفي وحلله للرجل؟ المرأة التي خلقها الله إلهة للعاطفة وحدها، أي قدرة تنزع عنها اليوم غلالتها السحرية ومن يجرؤ على تلك المحاولة؟ لا أنتم الخاطئون إن حسبتم عاطفة المرأة إثمًا وبهتانًا» [٤].

وقد سبقت الآنسة «مي زيادة» – التي تأثرت أديبتنا بأدبها كثيرًا – بالدفاع عن حق المرأة في أن تقرض الشعر الوجداني باعتبار أنها تقتسم الإنسانية مع الرجل فتقول: «إننا نحن الجهة المقابلة في الذات الإنسانية الواحدة، نختبر ما لا يعرفه الرجل، كما أن بعض اختبارات مولانا (تعني الرجل) تظل أبدًا مغلقة علينا» [٥].

---

[١] المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

[٢] فن المقال في الأدب العربي المعاصر، أ.د. إبراهيم عوضين، (ص١٩)، ط٢، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

[٣] الشعر المصري بعد شوقي، الحلقة الثالثة، د. محمد مندور، (ص٥١: ٥٣).

[٤] مجلة أبولو، المجلد الثالث، (ص٣٧٩).

[٥] الشعر المصري بعد شوقي، الحلقة الثالثة، د. محمد مندور، (ص١٥٧).

فالشعر العاطفي قد تطور في العصر الحديث، وأصبحت نظرة المرأة في التعبير عن عواطفها نظرة الندّ للندّ، في المزاحمة لأدب الرجل ولا غرابة في ذلك «فإن الحب إذا كان عارضًا في حياة الرجال ... فإنه حكاية حياة المرأة، ومن غير المعقول أن لا يشغل الحب المرأة، وأن لا تقول فيه الشعر إذا واتتها الفرصة والممكنات»[١].

والأفكار التي بنت الكاتبة عليها أبعاد تلك القضية واضحة، مرتبة ترتيبًا منطقيًا، مترابطة عميقة، تنحو الكاتبة فيها نحو التحليل والتعليل وعرض البراهين الخطابية والعقلية للإقناع، وتتمثل فيما يأتي:

أ ـ بيان خطأ من يعيبون على المرأة شعرها العاطفي ويحرّمونه، وبخاصة بعد الثورة الأدبية في القرن العشرين، تقول: «ولست أدري أي معنى يعيبون؟ أسدّت دونهم أبواب الحقائق؟ يا لله! بأيّ عينٍ ينظرون، وبأيّ قلب يشعرون، وبأيّ عقلٍ يفهمون؟ أتراهم لا يفقهون؟! أخشى أن يكونوا كذلك ونحن على عتبة جيل جديد نوّد له الجدّة في الميول والمشاعر والعاطفة النبيلة الطهور»[٢].

ويتجلى الصدق الفني، وأصالة الموهبة الأدبية للكاتبة في صدق تمثيل الأسلوب لشخصية الكاتبة، ودقة اختيارها للألفاظ الموحية المصورة: فكثرة الاستفهام المتكرر المتوالي يحمل معنى الإنكار، والتعجب، والتوبيخ، ويعكس حدة انفعال الكاتبة، وضيقها بهذا الحكم، والتوازن بين الجمل في عبارات قصيرة «تتميز بسرعة الإلقاء، وسرعة الفهم، وتتابع المعنى، وتلاحق الأثر النفسي، فلا ينصرف السامع عن المتابعة؛ لأن القصر لا يمكنه من الانتقال إلى شيء آخر فلا يشتغل الذهن بسواها»[٣].

وترتيب العبارات ترتيبًا نفسيًا يوافق اهتزاز المشاعر وتموجات النفس، في أسلوب فني رائع يمتاز بالدقة في ترتيب الألفاظ، بحيث لو تقدمت جملة على جملة تغير المعنى، ولا يستطيع القارئ أن يحذف كلمة ويضع مكانها أخرى، فضلًا عن الإيقاع الموسيقي المنسجم الألحان المنبعث عن الازدواج الذي جاء طبيعيًا غير متكلف: «أيّ معنى يعيبون، بأيّ عينٍ ينظرون، بأيّ قلب يشعرون، بأيّ عقلٍ يفهمون، أتراهم لا يفقهون»، قال صاحب الصناعتين: «ولا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجًا»[٤].

ب- تنحو الكاتبة نحو الإطناب في عرض الفكرة لإثارة العواطف وإقناع العقول، والتأثير في النفوس، بإيراد الأمثلة للشعر العاطفي الذي يعتمد على الرمز، في حين أن كثيرًا من الناس

---

[١] المرجع السابق، (ص١٤٨).

[٢] مجلة أبولو، المجلد الثالث، (ص٣٧٩).

[٣] في الأدب الإسلامي الصوفي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. علي صبح، القاهرة، ١٩٧٧م، دار الأنصار.

[٤] الصناعتين لأبي هلال العسكري، (ص٢٥٨).

وبخاصة المتعنّتين منهم، يتسرعون في الحكم عليه ويصدقون ما يخلقه الخيال الخصب للمرأة الأديبة وكأنه حقيقة تقول: «هذه صورة فتي جميل الطلعة قوي البنية يجلس كالحبيس تحت ظل غمامة تسد أمامه الطريق ولا حيلة له غير الإطراق الكسير»[١].

تشرح الأديبة هذه اللوحة كما يتراءى لكل من يشاهدها بالحكم على صاحبتها بالعشق، في حين أنها لو سئلت عما يرمز إليه هذا الشاب لأجابت: أنه يرمز للقوة، والغمامة لسحابة الأقدار، ومنهما معًا جاءت بصورة ترمز إلى القضاء الغالب، والإطراق الكسير إلى الذهن الغرور الذي يستولي عليه العجز عن التفكير، «وها نحن أمام جوابها وتجاه رسمها نصُمت إذن! فالصورة الفنية التي تبدو أمامنا، وراءها دائمًا ما وراءها من عوالم لا نراها بالعين المجردة»[٢].

وتكرر الأديبة هذه الفكرة من تسرّع الناس في الحكم على شعر المرأة العاطفي، وتعلل لذلك: بخلطهم بين عالم الخيال وعالم الواقع، موضحة كيف يثور خيال المرأة إلى تسطير ما ترجو «فالمرأة الشاعرة عندما تجتاز حدود دنياها إلى الفضاء اللامحدود تمر بأخيلة لا عهد لها بها، بعضها يروقها فيكهرب أعصابها حتى تعود مأخوذة بسحره، وعلى ضوء هذا السحر الفياض تكشف لنا ما وراء الضوء أو ما يخبو خلف الظلام، متحدثة عما تروم عن طريق نفسها كأنها هي الخيال الذي لقيته هناك، حتى إذا قرأنا قولها حسبناه حقيقة لا ريب فيها»[٣].

وما تقرره الأديبة من قدرة الخيال المبدع على خلق عوالم فسيحة مؤثرة بعيدًا عن عوالم الدنيا المحدودة يؤكده أحد النقاد بقوله: «إن الأديب ذا الخيال الخصب الخلاق، أو الملاحظة الدقيقة النافذة يستطيع أن يخلق بخياله تجارب بشرية، قد تكون أعمق صدقًا وأكثر غنى من واقع الحياة ... لما هو معلوم أن الخيال والملاحظة يستطيعان أن يلتقطا ملامح الحياة وخصائصها»[٤].

وتورد الكاتبة نماذج من شعرها العاطفي، موضحة محمل الصورة كما يتبادر إلى أذهان الناس، والرمز الذي تقصده من وراء تلك الصورة في قولها[٥]:

سلني مليك عواطفي المحبوبا سلني عن الحب المذيب قلوبا!

«فهل معنى ذلك أنها أحبت رجلًا وارتفعت به إلى مصاف الملائكة هناك؟ لماذا لا نقول: إنها تحب مثلها العالي المجهول شبيهًا بخيالها العالي، ولماذا لا تترنم به كأنه شيء محسوس؟ هل

---

[١] مجلة أبولو، المجلد الثالث، (ص٣٧٩).

[٢] المرجع السابق، (ص٣٨٠).

[٣] المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.

[٤] الأدب ومذاهبه، د. محمد مندور، (ص١٠)، طبعة نهضة مصر، ٢٠٠٤م.

[٥] مجلة أبولو، المجلد الثالث، (ص٣٨١)، والبيت من قصيدة للشاعرة بعنوان: «حب المحال» في المرجع نفسه، (ص١٣).

هناك ضير من ذلك؟ .... وقد تتخيل الغروب – قلب الحياة – يخفق لآخر مرة فتود لو تفدي هذا القلب الكبير بقلبها الصغير وترضى بدموعها الشعرية عزاء وكأنها تقول[١]:

أعطني بالقلب شعرًا إنه روح طهور!

فالأديبة تود أن يحمل شعرها العاطفي محمل الرمز السامي لا الدلالة المباشرة للألفاظ، فهي شاعرة الأخلاق والمثل العليا، كما أشار الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي سابقًا في التعريف بها، وشاعرة المحال والمثل العليا الشبيهة بخيالها العالي كما أشار الدكتور أحمد زكي أبو شادي في تصديره لديوانها: «نبضات شاعرة»، حيث يقول: «ولا تزال الصور والأخيلة والرموز السامية ونشدان «المحال» الذي تخلقه مثاليتها تراود ألحانها»[٢].

وتصل الكاتبة بعد عرض موضوعها إلى خاتمة المقالة، وهي ثمرة المقالة، ونتيجة طبيعية للمقدمة والعرض، وواضحة وصريحة، وملخصة للعناصر الرئيسة المراد إثباتها، حازمة تدل على اقتناع ويقين، لا تحتاج إلى شيء آخر لم يرد في المقالة[٣]، واشتملت خاتمة المقالة على ما يأتي:

* تأكيد الكاتبة على كنه المرأة العاطفي، وتورد صورًا لتأثير العاطفة في المرأة فرحًا وحزنًا، فالمرأة تبكي للفقيد، بينما تضحك لاستقبال الوليد، وتعزف بيد لينة، والمجتمع يطالبها بالخشونة، وتعلل لذلك بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي ارتضى تلك الطبيعة للمرأة لتبعث الحس والشعور في أبنائها، لا حمل المجتمع على استضعافها، فالمرأة لا يحلو لها غير الأمن والسلام، لا الحرب والخصام، والمفاخرة بالقوة كالرجل.

* دعوة الأديبة إلى ترك الحرية لكل شاعر في اختيار اتجاهه الشعري، وقد تأثرت في ذلك بدعوة (خليل مطران) فهو أول من دعا إلى الحرية الفنية التي تحترم شخصية الشاعر[٤].

* وتقييم شعر الشعراء من خلال رؤيتهم وخيالهم الرحب، لا من خلال منظور النقاد وخيالهم القاصر، لأن الشاعر هو الذي تأثر وأشعر وحكى، ولا ضير على الناقد أن يقرأ ما يقوله الشاعر بإنصاف، فللتاريخ الأدبي كلمة العدالة التي تنفي فارغ الأقوال المشوهة لجمال الشعر.

وما دام الشعور مناط المرأة فلتصور ما يحلو لها ما دام بريئًا في غير كلفة أو رياء، وليكن التفكير مناط الرجل، وبالشعور والتفكير ترقى الشعوب إلى سماء الحق النزيه.

---

[١] المرجع السابق، (ص٣٨١)، والبيت في ديوان نبضات شاعرة لجميلة العلايلي في قصيدة بعنوان «الشادي»، (ص١٩٤).

[٢] المرجع السابق، (ص٧).

[٣] فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص١٣١).

[٤] الأدب العربي الحديث، د. محمد عبد المنعم خفاجي، ج١، (ص٤١).

خصائص أسلوب الكاتبة:

١- براعة الاستهلال: حيث بدأت الكاتبة مقالتها بمقدمة منطقية تجذب انتباه القارئ، وتحقق له الإمتاع الفني، والتشوق لمطالعة المقالة بأسلوب التحليل والتعليل والمحاورة، وبفكرة طريفة تدل على عناية الكاتبة بقضايا المرأة الأدبية.

٢- ظهرت شخصية الأديبة واضحة في عرض الموضوع وسوق الأدلة والأمثلة المستمدة من خيالها، وتجاربها الخاصة، وثقافتها العامة في الأدب والاجتماع، وأعطت صورة واضحة لنظرة الناس في عصرها لقضية «الشعر العاطفي للمرأة» ووجهة نظرها في تلك القضية، وحثت النقاد على الإنصاف في الرؤية والتقييم.

٣- برزت ذاتية الكاتبة وصدق عاطفتها، وبراعتها الأدبية التي تحقق التواصل الفني بين الكاتبة والمتلقي، والموضوع، مما يجعل المتلقي وجهًا لوجه مع وجدان الكاتبة، يحس بنبضها، وقيمة الأفكار التي تعرضها في مقالتها، ورغم أن المقالة تعالج قضية نقدية حيث تدور حول العاطفة الشعرية للمرأة، وتصوير أثرها في حياة المرأة الشاعرة، ومن ثم جاء الإقناع هنا في الأسلوب عن طريق العقل والفكر وكذلك الصور البيانية المتلاحقة من تشبيه واستعارة، وكناية، ويرجع السبب في كثرتها إلى عمق المعاني التي جاشت في نفس الأديبة.

فالكاتبة (معبأة بموضوعها، ممتلئة بموقفها، مشحونة بإحساسها، تقلب فكرتها محاولة أن تستقصي أطرافها، وأن تقول فيها كلامًا على قدر شعورها بها وإحساسها)[١].

فمن الصور التشبيهية التي اعتمدت الكاتبة عليها لإقناع القارئ والتأثير فيه قولها عن الفتاة المحدودة الثقافة: «على أنها إذا تركت وحدها في الطريق تلفتت يمنة ويسرة كغريب في دنيا جديدة»[٢].

فالكاتبة تتعمق في وصف إحساس ومعاناة تلك الفتاة؛ من الشعور بالوحدة والاغتراب، لضيق ثقافتها، فتصورها بصورة الغريب في دنيا جديدة لم يألفها، ووجه الشبه في الحالين هو الحيرة والخوف والتردد، ويتجلى أثر التشبيه في أنه يمتع النفس حيث يخرج المعنى الأغمض إلى الأظهر، مع حسن التأليف، والمعقول إلى المحسوس، ويأتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة[٣].

أما الفتاة المثقفة المستنيرة فتصورها الكاتبة «بإله صغير في مقدوره أن يعيش لنفسه وللحياة، وفي مقدوره أن يخلق ويبدع، وفي مقدوره أن يشعر ويحس ويصور ما يريد»، ونحت الكاتبة نحو التذييل في الصورة بالتكرار «في مقدوره» للتأكيد على مدى القدرة والحرية لتلك الفتاة المثقفة المستنيرة على

---

[١] التصوير البياني في شعر المتنبي، (ص١٤٠)، أ.د. الوصيف هلال الوصيف. بتصرف.

[٢] مجلة أبولو، (ص٣٧٨)، المجلد الثالث.

[٣] الإيضاح في علوم البلاغة، (ص١٢٢، ١٢٣).

خوض غمار الحياة كما تشاء.

ومن التصوير الكنائي قول الكاتبة: «المرأة التي خلقها الله إلهة للعاطفة وحدها»، كناية عن الطبيعة الفطرية، والمكنون الوجداني للمرأة المتميز بغلبة العاطفة، ومع ذلك فإن هاتين العبارتين: «إله صغير، وإلهة للعاطفة»، مما يؤخذ على الكاتبة، ويصدم الحس الإيماني وقد عاب الدكتور عبد القادر القط ذلك بقوله: «يُكثر بعض الوجدانيين ممن يهتمون بعاطفة الحب من تلك الإشارات ذات الارتباط الديني، على نحو فيه كثير من العاطفية المسرفة، والمبالغة في تقديس تلك العاطفة بأسلوب لا يسيغه الوجدان الناضج»[(١)].

وتأتي بالتصوير الاستعاري بجعل الأمور المعنوية في صورة حسية تكسبها الوضوح والقوة، والحيوية والحركة كما في قولها: «وكيف يلعب الخيال دوره بمهارة على مسرح شعورها حتى يهيب بالمتعنتين إلى تصديق ما يعرض أمامهم على لوحة الشعر التصويري» .

فتصور خيال المرأة الشاعرة الخصب الخلاق في إبداعه الصور المؤثرة، بإنسان فنان، يؤدي دوره بمهارة على خشبة المسرح أمام النظارة، حتى يجعلهم يتأثرون بأقواله وأفعاله وكأنها حقيقة.

٤- يمتاز الأسلوب بالإطناب والتفصيل والتعليل والوحدة والتماسك، وهذا ما يجعل الكاتبة على علم «بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له»[(٢)].

فالكاتبة أمام قضية تريد عرضها وتوضيحها، وإقناع المتلقي بها، وهذا يتطلب الإطناب في عرض الفكرة، لا الإيجاز فيها، ومن ذلك قول الكاتبة في التأكيد على تميز المرأة بقوة العاطفة والشعور: «المرأة التي أبحتم لأنفسكم استضعافها يمكنها أن تجتاز عوالم الأخيلة في غير حقد أو ضغينة، تعترف بنبوغ القوي، وتحترم ضعف الشقي تحمل الأول على النهوض بنفسه، وتعمل على مواساة الثاني، لا تحقد على ممتاز ولا تحتقر ضعيفًا، إذ تعتقد أن في يد الأول مشعل الحاضر، وفي يد الثاني مشعل المستقبل قرب أو بعد زمانه، أما أنتم يا من تفاخرون بقوتكم وعبقريتكم فكل ما يحلو لكم الوقوف على جلّ المكائد والمصائب والمحن، ترصدون الهنات والسيئات وتوارون الحسنات، وكأنه لا يطيب لكم غير الحرب والخصام! أما المرأة فلا يحلو لها غير الأمن والسلام»[(٣)].

٥- امتاز الأسلوب بالتعبير الفني المتميز الجميل، في دقة اختيار الألفاظ ذات الجرس المؤثر، والتوازن بين الجمل، والبساطة في الأداء والوضوح الذي ينفي كل لبس وإبهام في موسيقى عذبة الألحان.

فالفقرة السابقة حافلة بالعبارات الأنيقة الرشيقة في وحدات متساوقة مترادفة كما في قولها: «**تجتاز**

---

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، (ص٣٣٢)، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٢) نقد النثر لقدامة بن جعفر، (ص٩٦).

(٣) مجلة أبولو، (ص٣٨٢).

عوالم الأخيلة في غير حقد أو ضغينة، **تعترف** بنبوغ القوي، **وتحترم** ضعف الشقي».

والتعبير بالمضارع: يَقِفُ المتلقي على الصورة الحقيقية للطبيعة النفسية للمرأة، لما يفيد التعبير بالمضارع من التجدد والاستمرار، ومجيئه في السياق الخبري يدل على أن الكاتبة تقرر حقيقة ثابتة.

والعناية بالجانب الموسيقي في الموازنة بين الجمل طولًا وقصرًا، والسجع، والازدواج، والطباق، والمقابلة، والمفارقة التصويرية، ووضع الظاهر موضع المضمر، والمؤاخاة بين الألفاظ، وهي أساليب جاءت طبيعية غير متكلفة، تجعل الجمل والكلمات متناغمة متناسقة تطرب لها الأذن، وتنتشي بها النفس، وكأن القارئ بصدد أبيات من الشعر، لما يجده من الموسيقى القوية، المؤثرة المنبعثة في نهاية كل جملتين متقابلتين كما في قولها:

- تبكي المرأة على الفقيد/ بينا تضحك لاستقبال الوليد.
- تودع العزيز بدموعها/ وتستقبل الجديد ببسماتها.
- تحب الشعر لأنه يشفيها/وتبغض الشعر لأنه يبكيها.
- تلهو بالخيال لأنه عزاؤها/ وتصور الآلام وهي سرّ بلائها.
- هي تعزف بيد لينة/ وأنتم تطالبونها بيد خشنة.
- ترصدون الهنات والسيئات/ وتوارون الحسنات.
- أنتم لا يطيب لكم غير الحرب والخصام/ أما المرأة فلا يحلو لها غير الأمن والسلام.
- «أنا أفكر فأنا إذن موجود»/ «أنا أشعر فأنا إذن موجودة».
- لتكن المرأة مناط المشاعر/ وليكن الرجل مناط التفكير.

والحق أن الموسيقى الخفية أقوى من موسيقى الشعر الموزون المقفى، والكاتبة لم تقصد إلى هذه الفواصل ذات الإيقاع الموسيقي قصدًا، وإنما هي نتاج الحس الموسيقي الفطري الذي هو سرّ من أسرار الإبداع الأدبي، والموهبة المركوزة في أعماق الأدباء.

فالسجع ظاهر في: «الفقيد، الوليد، بدموعها، ببسماتها، يشفيها، يبكيها، عزاؤها، بلائها، لينة، خشنة، السيئات، الحسنات، الخصام، السلام، موجود، موجودة».

وجاء طبيعيًا يقتضيه المعنى ويتطلبه، ولا تخلو فقرة منه، وقد تحققت فيه شروط السجع البليغ التي اشترطها ابن الأثير بأن تكون الألفاظ حلوة حادة طنانة رنانة، لا غثة ولا باردة، وأن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها[(١)].

ومما حقق أقصى درجات التوافق الصوتي اجتماع أكثر من لون بديعي واحد في الفقرات كما في الازدواج بالتوازن الموسيقي بين الجمل، والسجع في نهاية الفقرات، فضلًا عن الإيقاع المعنوي

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، (ص١٤٧: ١٥١)، ج١.

المتمثل في تقابل الجمل الذي يوضح المعنى ويعمق الإحساس به، ويكشف عما فيه من مفارقات عنيفة وتناقضات حادة، وبالطباق والتضاد بين الألفاظ كما هو واضح في الفقرات السابقة كما في «تبكي وتضحك»، «الفقيد والوليد»، «تحب وتبغض»، «عزاؤها، بلاؤها»، «لينة خشنة»، «السيئات والحسنات»، «الحرب والسلام» فضلًا عما فيها من حسن التقسيم والتعليل، وكلها أساليب تعطي «تنوعًا في النغم، وتحرك الشعور، وتوقظ العقل، وتثير العاطفة، فتغني الموسيقى في اللفظ، ويزداد المعنى وضوحًا وتأكيدًا»[1].

ومن وضع الظاهر موضع المضمر قولها: تبكي المرأة على الفقيد، فسياق الكلام كله في خصائص المرأة، ولكن الكاتبة آثرت التعبير بالاسم الظاهر «المرأة»، للدلالة على أخص ما يميز المرأة من العاطفة الوثابة التي لا تستطيع لها دفعًا؛ بالبكاء إذا حزبها أمر لا تتحمله مشاعرها، مما يفرق بينها وبين الرجل. وبرزت المؤاخاة بين الألفاظ بالمناسبة بينها عن طريق الصيغة كما في: «يشفيها، يبكيها، الخيال، الآلام، عزاؤها، بلاؤها، الهنات الحسنات السيئات»، فضلًا عن دقة اختيار الألفاظ الموحية بالمعاني التي تعتمل في نفسها حيث إن «للألفاظ أرواحًا، ووظيفة التعبير الجيد أن يطلق هذه الأرواح في جوها الملائم لطبيعتها، وليست المسألة مسألة صياغة لفظ، إنما هو الشعور التلقائي الغامض الذي يوحيه»[2].

يوحيه»[2].

من ذلك قول الكاتبة: «ترصدون الهنات والسيئات، وتوارون الحسنات».

فالتعبير بالمضارع في «ترصدون» ما يفيد التّعقب والتّربص وشدة الترقب، والتسجيل لكل هفوة، والتتبع لكل سيئة، وتعمد الإخفاء والمداراة لكل حسنة، ألفاظ مصورة موحية تفيد: الاستمرار والتجدد والدوام لحال الناس تجاه من يكرهون، ووصف واقعي متجدد في كل زمان ومكان يعكس حقيقة ثابتة، ويدل على معاناة الكاتبة من هؤلاء الناس المعارضين للشعر العاطفي للمرأة سواء أكانوا نقادًا أم غيرهم.

فمما يدل على دقة اختيار الأديبة للألفاظ الموحية بالفكرة: اختيارها لهذين اللفظين: «ترصدون – توارون» فلم تقل: «تظهرون وتخفون» لأنهما لا يُؤديان نفس المعنى الذي يحمله شعور الأديبة، ولا يصوران بجرسيهما الطاقة الصوتية للفظين اللذين آثرت الأديبة التعبير بهما، ولا يلائمان سياق الألفاظ والتراكيب، ولا يؤديان الفكرة التي تريد الكاتبة تصويرها، وجميع ألفاظ النص انتقتها الكاتبة انتقاءً، بذوق الأديبة، ووجدان الكاتبة، وبراعة العالمة المدققة، باستثناء ما أخذ عليها في قولها: «إله صغير، إلهة للعاطفة».

---

[1] البناء الفني للصورة الأدبية، د. علي علي صبح، (ص٢٧٣).

[2] البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، (ص٤٤)، ط٤، دار المعارف، ١٩٧٧م.

ثانيًا: المقالة الاجتماعية

هي التي تتناول قضايا المجتمع وعادات أفراده وأخلاقه بالنقد، لتحث على جوانب الإيجاب، وتنفر من جوانب السلب، حيث إن الأدباء فضلًا عن الكُتاب المقاليين لا يعيشون في معزل عن المجتمع، بل يتأثرون وينفعلون بقضايا مجتمعهم، محاولين وضع حل مناسب لها كل بحسب تصوره الخاص واتجاهه الفكري.

ولهذا يسميها بعض النقاد «مقالة النقد الاجتماعي: وقوامها نقد العادات الناخرة والتقاليد البالية التي ترسبت في المجتمع، على مدى الدهور ولا تعفي الأزياء الطارئة والبدع المستحدثة من سخريتها وعبثها، والمبرر الطبيعي لذيوع مثل هذا النوع من المقالات، في مجتمع ما، هو ما يطرأ عليه من مستحدثات الحضارة في الأزياء والعادات والأخلاق ووسائل اللهو والتسلية، أو ما يحتدم فيه عادة من صراع بين القديم والجديد، في فترات الانتقال، يتمثل في أكثر الأحيان في ذلك التباين الذي نلمحه بين ما يتمسك به الآباء من تقاليد، وبين ما ينزع إليه الأبناء من تجدد وتغيير»[(١)].

خصائصها: المقالة الاجتماعية لون من الألوان الوجدانية الصادقة، التي تعبر عن شعور الكاتب الجماعي فهو في مقالاته الاجتماعية لا يعبر عن شعوره فحسب، بل يعبر كذلك عن شعور أفراد مجتمعهم، فيشاركهم معاناتهم، وبؤسهم وشقائهم، مما يكون له أبعد الأثر في نفوس المتلقين، لسرعة نشرها في الصحف، بلغة سهلة واضحة تناسب ذوق القراء[(٢)].

وتتطلب: صحة العبارة، والتخلص من الزخرفة والزينة اللفظية، ووضوح الجمل وترك المبالغة والتهويل، وسلامة الحجج، والمنطق[(٣)].

وعدة الكاتب في هذه المقالة: «ملاحظة دقيقة، وقدرة على إحكام الوصف وإجادة التحليل، واتزان في الحكم وعمق في التأمل، وبراعة في التهكم والسخرية، حتى لا تخرج المقالة من بين يديه جثة هامدة، لا تسمع لها نأمة ولا تبدو لها حركة، فتزول قيمتها بزوال المؤثرات الطارئة التي دعت إلى كتابتها»[(٤)].

ومن الكتاب البارزين في هذا اللون المقالي: أحمد أمين، والمازني، والعقاد، والرافعي، والمنفلوطي، والأديبة جميلة العلايلي.

١- ومن مقالات الأديبة «جميلة العلايلي» الاجتماعية مقالة بعنوان: «الفنون الجميلة» تقول فيها: «قيل لي: إن مصورًا بارعًا مات في الطريق ملتحفًا السماء ومفترشًا الأرض، وقد مات لأنه طوى

---

(١) فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص١٠٧، ١٠٨).

(٢) فن المقال في ضوء النقد الأدبي، د. عبد اللطيف الحديدي، (ص١٤٦).

(٣) نشأة النثر الحديث وتطوره، د. عمر الدسوقي، (ص١٠٣)، دار الفكر العربي، ١٩٧٦م.

(٤) فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص١٠٨).

الأيام دون غذاء يقتات به أو يسدّ به غائلته، مات وبين يديه عدة صور فنية عجز عن بيعها أو عجز الجمهور على الأصحّ عن تقديرها.

وتنبه الجمهور الخامل إلى الخطأ الخطير فبكوا عليه ... ولست أدري ما سرّ هذا الإشفاق الدمعي المتأخر وكان في وسعهم الجود بل الإنصاف في حياته؟!

يا للهول ! يموت الفن ونحن نعتمد عليه، ونحتمي به خالدين!

كلنا نعلم أن الفنون الجميلة هي عماد الأمم وقوام نهضتها، ولولاها لما بقيت حضارات اليونان والرومان والمصريين والعرب، وما حملته كُلّ منها إلينا من معانٍ سامية ونهضة راقية، فقد أوجدوا فينا من فنونهم روحًا علوية تشعر بجمال الحياة، وقد صارعت العصور حتى صرعتها، وقاومت الأجيال حتى غلبتها، وما برحت دواوين الشعراء أو آثار الكتاب ودور الآثار التاريخية والمتاحف الفنية ناطقة بأبلغ حجة عن عظمة هذه الأمم وحضارتها الراقية الخالدة.

قال ماريون: إن تعليم الفنون ضروري وواجب لما لها من قوة التربية العظيمة، فإن الجمال هو النظام والانسجام اللذان ينفذان إلى النفس بالتخيل، فيظهر أثرهما بما يحدثانه من الرقة والعطف والحنو والطلاوة والذوق والعاطفة النبيلة.

وكان العرب يسمون الفنون الجميلة بالآداب الرفيعة: فهي صورة الماضي تشع وضاءة أمام الحاضر لتنبعث في صدورنا روح العزة والنهضة القديمة.

ويقول علماء الأيثنولوجيا: إن ما نقوم به اليوم هو صورة قديمة لعادات أجدادنا منذ القدم، فعجلة التاريخ تدور على محور واحد والبشر يقدمون أرواحهم شحمًا لها.

ومن الفنون الجميلة نتذوق سر الجمال وفهمه وإدراكه وحبه، ومنها نعرف جمال الحرية ونتعرف معانيها، إذ الفن نفسه يُقاس بمقياس الحرية، وكلما ازداد نصيب الفنون من الحرية سمت طبقتها في الجمال، وكلما ابتعدت عن طبيعة الفن الجميل واقتربت من التقليد الصناعي كانت النتيجة دميمة، لأن العمل مقيد غير حرّ.

ولا يكون الفن فنًا جميلًا ساميًا إلا حين يصبغ الطبيعة بصبغة النفس التي نراها ونمثلها للناظرين جامعة بين كمال الطبيعة وكمال الحياة، فلو أننا فتشنا عن علاج يجعل للفن مكانه الأعلى لما وجدنا لذلك من علاج غير وفرة نصيبه من حرية النفس، وحرية النفس روح الحرية الإنسانية، ولكل أمة نصيب من الفن على قدر نصيبها من الحرية والعظمة، فلولا الفن المتجسم في تمثال «فينوس ميلو» لما عرفنا عبقرية اليونان الخالدة وجمال ذوقهم السليم، ولولا الفن لما عرفنا التمييز بين الجميل والدميم.

على أن النهضة الفنية الحديثة أفسحت لنا مجال التفاؤل المكلل بالأمل البهيج في جميع مرافق الحياة، فالموسيقى والغناء والتصوير والهندسة والبناء والشعر والنثر الفني بدأ كل منها يلعب دوره بمهارة على قيثارة النهضة الفنية، وإذا كان مجرد النظر إلى الرسم التصويري لمعرض الفاتيكان

برومة يسحر لُبَّنَا ويملك علينا أمرنا، وإذا كان مجرد خيال صور متحف اللوفر بباريس يسمو بنفوسنا إلى عالم السحر والجمال فما بالنا برؤياها حقًا!

ولو أنك خلوت بنفسك تقرأ القصائد الفنية في شعر شوقي والبحتري والمتنبي بنغمها الخالد القديم لسبحت بروحك في عالم اللانهاية حيث الفن الرائع الخلاب.

وكذلك الحال إزاء مبدعات النثر الفني الرائعة قديمها وحديثها حيث يجتمع الخيال وجمال المعاني الدقيقة والألفاظ الرشيقة السحرية.

ولكن وا أسفاه! إن قلبي ليتعذب كلما رأيت عبقرية أكثر الفنانين ومواهبهم تنبت في أحضان الفقر والبؤس ليغذيها الألم والحزن وتتلاعب بها أعاصير الشقاء.

وكم من فنان ذاق مرارة الحياة وواجه الفشل في طريقه، قد يتذوق جمال الحياة في حياته الخيالية وأحلامه الطويلة، يدخل الدنيا بغير حطام ويخرج منها تاركًا أجمل الآثار ولست أجد غير الفنان الممتاز أحق بالإكرام والتبجيل، لأنه يحمل لشعبه مشعل النهضة والخلود.

لذلك يجب علينا ونحن نتسامى إلى مثل أعلى وقد عرفنا الطريق إلى منهل الحضارة والثقافة أن نرشف من فراته ونكافئ رسل الفن بسخاء وأن نشجع أهله ونقدرهم، فهم رسل المدنية والحرية، وكرامتهم مظهر كرامة أمتهم.

ولا يسعني في الختام إلا أن أتقدم إلى صاحب الجلالة المليك المعظم معترفة بفضله وبيده البيضاء التي أسداها للفنون الجميلة في عصره الذهبي فقد ازدهر نورها وفاح شذاها، وعنايةُ جلالتِه بالفنون الجميلة – وفي طليعتها الشعر – يجب أن تكون قدوة سامية لكل ذي خطر من كبار رجال الدولة وكرام العقائل في مصر»[(١)].

التحليل الفني للمقالة:

بنت الكاتبة مقالتها بناءً فنيًا دقيقًا، يتمثل فيما يأتي:

١- عنوان المقالة يتناسب مع المحور العام للأفكار التي تصب في إطاره، والموضوع الذي تعالجه.

٢- الفكرة الرئيسة: تتمثل في عزلة الفنون الجميلة في مصر وعدم تقدير الناس لأصحابها إلا بعد موتهم، حيث يعانون آلام الفقر والتشرد الذي يصل بهم حدّ الموت، ففي المقالة دعوة إلى إنقاذ الفنانين من براثن الفقر والبؤس، وتقديرهم ماديًّا.

٣- بدأت الكاتبة مقالتها بمقدمة قصصية تثير العواطف، وتؤثر في النفوس، وتحرك القلوب بتقديم صورة منتزعة من واقع الحياة لمصور بارع صرعه الجوع حتى الموت: «قيل لي: إن مصورًا بارعًا

---

(١) مجلة أبولو، المجموعة الكاملة، المجلد الثاني مقالة بعنوان: «الفنون الجميلة» لجميلة محمد العلايلي، (ص٩٤٥: ٩٤٨)، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م.

مات في الطريق ملتحفًا السماء ومفترشًا الأرض، وقد مات لأنه طوى الأيام دون غذاء يقتات به أو يسدّ به غائلته، مات وبين يديه عدة صور فنية عجز عن بيعها أو عجز الجمهور على الأصحّ عن تقديرها»[١].

وهذه المقدمة مهمة لإقناع القرّاء، ولفت أنظارهم إلى ما يعانيه ذوو المواهب من إهمال وإقصاء، في مقابل تقديم أصحاب الفن المضلل، مما يدل على دقة ملاحظة الكاتبة، وقوة عاطفتها، وصدق إحساسها لعطف القارئ نحو القضية التي تثيرها، وتبين نقمة الكاتبة على هذا الوضع من أوضاع الناس، فتكون هذه النقمة أولى خطوات الإصلاح المنشود، في غير توجه وعظي يضعف من قيمة المقالة، فكاتب المقالة الأدبية يكون «لقارئه محدثًا لا معلمًا، بحيث يجد القارئ نفسه إلى جانب صديق يسامره لا أمام معلم يعنفه. يكون لقارئه زميلًا مخلصًا، يحدثه عن تجاربه ووجهة نظره، لا أن يقف منه موقف الواعظ فوق منبره، يميل صلفًا وتيهًا بورعه وتقواه»[٢].

فالمقدمة في المقالة موجزة تلخص موضوعها، وتبين أساس الفكرة التي بنيت عليها، وتتسم بالطرافة والحيوية، لاجتذاب القارئ، والاستئثار بانتباهه.

٤- موضوع المقالة: تناولت الكاتبة عرض أفكار المقالة في وضوح تام بالتحليل والتصوير والتعليل، وقدمت أمثلة واقعية محسوسة، وبراهين عقلية للإقناع، استمدتها من ثقافتها الأدبية الواسعة ومشاهداتها للآثار الفنية الخالدة، في ترتيب وترابط، وعرض متسلسل، فقد بدأتها بتصوير أهمية الفنون الجميلة في حياة الناس، فهي «عماد الأمم وقوام نهضتها، ولولاها لما بقيت حضارات اليونان والرومان والمصريين والعرب وما حملته إلينا من معان سامية ونهضة راقية»[٣].

وتضرب الكاتبة أمثلة واقعية بدواوين الشعراء وآثار الكتاب، ودور الآثار والمتاحف الفنية التي تنطق بعظمة هذه الأمم السالفة، وتدل على حضارتها الراقية التي ظلت راسخة على مدى العصور.

وتورد أقوال الأدباء عن ضرورة تعليم الفنون لما لها من قوة التربية العظيمة في النفس، وتربية الذوق على الجمال الذي ينفذ بعناصره – من النظام أو الانسجام – إلى النفس، فيضفيان الرقة واللطف والحنّو والطلاوة والذوق والعاطفة النبيلة.

وتبين معرفة العرب للفنون الجميلة، وسبقهم إلى تسميتها «بالآداب الرفيعة»: فهي صورة الماضي تشع وضاءة أمام وجه الحاضر لتنبعث في صدورنا روح العزة والنهضة القديمة»[٤].

---

[١] المرجع السابق، (ص٩٤٥).

[٢] فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص١٠٣).

[٣] مجلة أبولو، المجلد الثاني، (ص٩٤٥)، مقال: «الفنون الجميلة» لجميلة العلايلي. (مرجع سابق).

[٤] المرجع السابق، (ص٩٤٥).

كما تورد أقوال العلماء بأن «ما نقوم به اليوم هو صورة لعادات أجدادنا منذ القدم، فعجلة التاريخ تدور على محور واحد والبشر يقدمون أراوحهم شحمًا لها»[١].

وذلك لأن حاجات الإنسان واحدة مهما تباعد الزمان وتوالت العصور.

وتبدو أهمية الفنون الجميلة ووظيفتها في كونها تعطي صورة واضحة لمقدار نصيب الأمة من الحرية لأنها تدل على حرية النفس التي هي روح الحرية الإنسانية «إذ الفن نفسه يقاس بمقياس الحرية، وكلما ازداد نصيب الفنون من الحرية سمت طبقتها في الجمال .... فلولا الفن المتجسم في تمثال «فينوس ميلو» لما عرفنا عبقرية اليونان الخالدة وجمال ذوقهم السليم، ولولا الفن لما عرفنا التمييز بين الجميل والدميم»[٢].

وتلفت الأديبة إلى الأثر النفسي المنبعث عن مشاهدة الآثار الفنية من الإحساس بالروعة والجمال سواء أكانت المشاهدة عينًا أم أثرًا، وتلفت كذلك إلى أهمية مطالعة روائع التراث الشعري والنثري العربيين، لما لهما من أثر في تنمية ملكة التذوق للفن الرائع، واستلهام الخيال، والوقوف على جمال المعاني، والألفاظ الرشيقة.

وتصل الكاتبة – بعد تناول الموضوع بالعرض والشرح، وإيراد الأدلة – إلى خاتمة المقال، وهي موجزة مركزة، تضم شتات الفكرة، وتلخص النتيجة التي استهدفتها، بلفت القارئ إليها دون تلقينها في صورة وعظية، بل الإقناع بالمنطق وإثارة المتلقي، فتقول: «ولكن وا أسفاه! إن قلبي ليتعذب كلما رأيت عبقرية أكثر الفنانين ومواهبهم تنبت في أحضان الفقر والبؤس .... وكم من فنان ذاق مرارة الحياة وواجه الفشل في طريقه ... ولست أجد غير الفنان الممتاز أحق بالإكرام والتبجيل»[٣]، فالخاتمة مرتبطة بالبداية.

ولا شك أن ترقية مستوى الشعراء أدبيًا واجتماعيًا أو ماديًا، والدفاع عن كرامتهم كان من إحدى الأسس التي حددها أبو شادي لجماعة أبولو[٤].

٥- خصائص التصوير الأدبي للمقالة:

١- الألفاظ واضحة ذات جرس موسيقي عذب، وإيقاع صوتي جميل، أجادت الكاتبة في اختيارها ملائمة للجو النفسي، والغرض من المقالة، وتوحي بتجربة فنية صادقة، حركت مشاعر الكاتبة وهيجت انفعالاتها، وملكت عليها وجدانها، فاستطاعت التأثير في المتلقي بالأسلوب القصصي

---

[١] المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

[٢] المرجع نفسه، (ص٩٤٥، ٩٤٧).

[٣] المرجع السابق، (ص٩٤٧).

[٤] الشعر المصري بعد شوقي، الحلقة الأولى، د. محمد مندور، (ص١٢٥)، دار نهضة مصر، القاهرة، ومجلة أبولو، المجلد الأول، (ص٩).

المشوق والتوسل بالأسلوب الخبري الذي يضفي ظلال اليقين والصدق منذ بداية المقال، فقد أكثرت من تكرار الفعل الماضي «مات» الذي يعمق أثر المأساة في نفس القارئ: «مات في الطريق – وقد مات – مات وبين يديه».

فهذا التكرار يدل على ما يرتكز في بؤرة شعور الكاتبة، وما يلحّ على وجدانها، ويحمل نبضها الثائر بمشاعر الأسى والحزن لموت أصحاب العبقريات جوعًا لسوء الإهمال وعدم التقدير، ويدل على عناية الكاتبة بالجانب العاطفي للمتلقي، لما للتكرار اللفظي من أثر في تهيئة الجو الترنمي والتأكيد المعنوي، والبث النفسي والوجداني، ومن ثم يأتي التكرار في: «عجز عن بيعها، عجز الجمهور عن تقديرها» ليوحي بالحقيقة الصادمة، والحضّ على تصحيح المفهوم الخاطئ، والقضاء على المظهر السلبي في الحياة الإنسانية، وليس أفضل من التكرار اللفظي وسيلة لإثارة المتلقي، وتحريك مشاعره، وإقناعه بقبول ما يقرع أذنه ونفسه في المقالة، واستدرار عطفه لهذا الحادث المؤسف، وهو «من سنن العرب في إظهار العناية بالأمر»[(١)].

٢- عُنِيَتْ الكاتبة بتحقيق الإمتاع للمتلقي، وإيضاح الفكرة له، بالترادف بين الألفاظ كما في ألفاظ: «صارعت، قاومت، صرعتها، غلبتها، تشع وضاءة، النظام، الانسجام، الرقة، اللطف، الحنو»، وهو يتوافق مع مراد الكاتبة في التأكيد على المعاني لإقناع القارئ، فلا يعد معيبًا.

٣- امتاز أسلوب الكاتبة بالتفصيل والإطناب في عرض المعاني والأفكار كما في قولها: «ولا يكون الفن فنًا جميلًا ساميًا إلا حين يصبغ الطبيعة بصبغة النفس التي نراها ونمثلها للناظرين جامعة بين كمال الطبيعة وكمال الحياة، فلو أننا فتشنا عن علاج يجعل للفن مكانه الأعلى لما وجدنا لذلك من علاج غير وفرة نصيبه من حرية النفس، وحرية النفس روح الحرية الإنسانية، ولكل أمة نصيب من الفن على قدر نصيبها من الحرية والعظمة»[(٢)].

٤- ظهرت موهبة الكاتبة الشعرية في عنايتها بالجانب الموسيقي في الألفاظ مما جعل من نثرها شعرًا موسيقيًا، مصورًا للحركة النفسية والصوتية وذلك عن طريق «المؤاخاة بين الألفاظ» والمناسبة بينها عن طريق الصيغة كما في: «مصورًا، بارعًا، ملتحفًا، مفترشًا، خالدة، سامية، راقية، جمال الحرية، مقياس الحرية، عماد، قوام»، والموازنة بين الجمل والعبارات طولًا وقصرًا، والمزاوجة بين الخبر والإنشاء في الجمل، كما في قولها: «وتنبه الجمهور الخامل إلى الخطأ الخطير فبكوا عليه ... ولست أدري ما سرّ هذا الإشفاق الدمعي المتأخر وكان في وسعهم الجود بل الإنصاف في حياته؟!»[(٣)].

---

(١) فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي (ص٣٧٣)، سلسلة الذخائر (١٦٨).

(٢) مجلة أبولو، (ص٩٤٧).

(٣) المرجع السابق، (ص٩٤٥).

فالانتقال من الخبر إلى الاستفهام يوقظ العقل، ويفتح منافذ الإدراك، ويثير الشعور بالاستفهام الذي خرج عن معناه الحقيقي إلى إرادة التوبيخ، والإنكار عليهم، والتعجب من موقفهم، فالأساليب الإنشائية في جوهرها «مشاعر وجدانية وخواطر نحسها، ونريد أن نلقي بها في نفوس الآخرين كي نصل إلى ما نبغيه من تأثير»[١].

٦- تزيين الأسلوب بالمحسنات البديعية كالسجع والازدواج والجناس والطباق، والمقابلة التي جاءت طبيعية وغير متكلفة، مما يمنح الألفاظ جرسًا وإيقاعًا عذبًا فمن السجع قولها: «بيعها، تقديرها، فهمه، إدراكه، وحبه، لبنا، أمرنا، بالنا، الحضارة والثقافة».

ومن الازدواج الذي يعتمد على ترتيب العبارة ترتيبًا متشابهًا قولها: «وقد صارعت العصور حتى صرعتها، وقاومت الأجيال حتى غلبتها»، فالذي يميز هذا النوع عن سابقه، ظهور موسيقاه بصورة أقوى وأوقع في النفس؛ لأنه في السجع تقييد فواصله في الحرف الأخير، أما في الازدواج فتتحد موسيقى الوزن مع موسيقى القوافي في جميع أجزاء العبارتين، ليتولَّد عن ذلك كله لونٌ مجلجلٌ من ألوان الموسيقى[٢].

ومن الجناس قولها: «آثار الكتاب ودور الآثار» فالجناس بين آثار الكتاب وهو: إبداعهم الأدبي، ودور الآثار، وهي: المتاحف الفنية، والجناس هو اتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، ويقوى الجرس الموسيقي باتفاق الكلمتين في الحروف أو معظمها، وفائدة الجناس: الدلالة على العظمة الخالدة للآداب والفنون التي تدل على درجة رقي الأمم.

وأما الطباق وهو: الجمع بين الضدين فقد ورد كثيرًا كما في قولها: «ملتحفًا السماء – ومفترشًا الأرض»، «صورة الماضي – وجه الحاضر»، «قديمها وحديثها»، «الجميل والدميم» وفائدته أنه يقوي الجرس ويوضح المعنى ويؤكده، في عرض المتضادات في نسق مؤتلف يثير الانتباه، وقديمًا قالوا: وبضدها تتميز الأشياء.

ومن أسلوب المقابلة قولها: «وكلما ازداد نصيب الفنون من الحرية سمت طبقتها في الجمال، وكلما ابتعدت عن طبيعة الفن الجميل واقتربت من التقليد الصناعي كانت النتيجة دميمة»[٣].

ومنها قولها: «وكم من فنان ذاق مرارة الحياة، وواجه الفشل في طريقه، قد يتذوق جمال الحياة في حياته الخيالية وأحلامه الطويلة، يدخل الدنيا بغير حطام ويخرج منها تاركًا أجمل الآثار»[٤].

فقد قابلت بين حياة الفنان الخيالية، وحياته الواقعية التي يظللها الشقاء والألم، حيث لا يتنسم عبير

---

[١] مستتبعات التراكيب بين البلاغة القديمة والنقد الحديث، د. عبد الغني بركة، (ص٨٥).

[٢] النقد التطبيقي والموازنات، د. محمد الصادق عفيفي، (ص٢٢٠).

[٣] مجلة أبولو، المجلد الثاني، (ص٩٤٥).

[٤] المرجع نفسه، (ص٩٤٧).

السعادة إلا في عالم الخيال، في تصوراته وأحلامه العريضة، ثم لا يلبث أن يفارق الدنيا ومتاعها الزائل، تاركًا فيها أجمل ما جادت به العبقرية، رغم حرمانه الدائم من حطامها، والتعبير بـ«كم» الخبرية لإفادة التكثير، «وقد يتذوق» للتقليل، وهذا يدل على موهبة الكاتبة في اختيار الألفاظ المصورة للمعاني، وانفعالها بالموقف الذي تصوره.

٧- جاءت الصور البيانية متلاحقة ومتتابعة لتعكس صدق العاطفة، وحدة انفعال الكاتبة بموضوعها، وعمق المعاني التي جاشت في نفسها من ذلك قولها: «مات في الطريق ملتحفًا السماء ومفترشًا الأرض» كناية عن معاناة الفنان المصور الفقر والتشرد، حيث لا يجد بيتًا يأويه إلا السماء سقفًا، والأرض فراشًا.

ويأتي التصوير الاستعاري في قولها: «يا للهول يموت الفن، ونحن نعتمد عليه، ونحتمي به خالدين» ليبرز دور الفن وأثره في حياة الناس رغم إهمالهم له وعدم تقديرهم لأصحابه، فقد شخصت الفن بصورة إنسان يموت لعدم العناية به، كما جسمته بالأساس المكين الذي يعتمد عليه، وشخصته كذلك بالجيش العظيم الذي يحتمى به وفائدة هذه الصور: التأكيد على وظيفة الفن وأثره، والتنفير من عدم تقدير أصحابه، وذهاب الفن بموت أهله، وحرص الكاتبة على تصحيح ما اعوج في مجتمعها، من ذلك قولها: «وأسفاه إن قلبي ليتعذب كلما رأيت عبقرية أكثر الفنانين ومواهبهم تنبت في أحضان الفقر والبؤس ليغذيها الألم والحزن، وتتلاعب بها أعاصير الشقاء»[(١)].

تصور الأديبة هيئة العبقرية التي تنبت في أحضان الفقر والبؤس، وتغذيها المعاناة والآلام، وتتلاعب بها أعاصير الشقاء فتذوي وتموت لأنها لا تجد من يدعمها أو ينميها، بهيئة النباتات الضعيفة التي لا تثبت في مواجهة الأعاصير، بل تتلاعب بها العواصف يمنة ويسرة، حتى تذوي وتموت، على سبيل الاستعارة التمثيلية، وفائدة الصورة إبراز صورة المشاركة الوجدانية للطبيعة، وتجاوب عاطفة الأديبة معها، والتراسل بين الإنسان والطبيعة حزنًا وفرحًا، والفرار إليها من لفح الواقع وثقله، وتلك سمة من سمات مدرسة شعراء أبولو التي تنتمي إليها الأديبة[(٢)].

ومن تلك الصور التي تستوحي الطبيعة وتشخص رموزها، تصوير الفنون الجميلة – وهي منهل الحضارة والثقافة – بالنهر العذب الذي يرشف من فراته: « لذلك يجب علينا (...) وقد عرفنا الطريق إلى منهل الحضارة والثقافة أن نرشف من فراته»[(٣)].

وفائدة الصورة إبراز قيمة الفنون وأهميتها العظيمة في حياة الناس، فإذا كان الماء أساس الحياة، فإن الفنون أساس الحضارة والثقافة.

---

(١) مجلة أبولو، المجلد الثاني، (ص٩٤٧).

(٢) جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث، د. عبد العزيز الدسوقي، ج١، (ص٣٢١).

(٣) مجلة أبولو، المجلد الثالث، (ص٩٤٧)، المجموعة الكاملة، مكتبة الأسر، ٢٠٠٣م.

ظهرت شخصية الكاتبة واضحة في عرض الموضوع بالأسلوب القصصي المؤثر، وسعة ثقافتها، والنقد البناء، وحب الإصلاح، وقوة العاطفة، إذ يشعر المتلقي أن الأديبة لا تكتب له عن أحداث وقعت لآخرين، بل يحس أن القضية قضيتها، والمعاناة معاناتها، وهذا هو جوهر الفن الأصيل، فهي شاعرة المثل العليا، والمبادئ السامية حيث تقول في قصيدة: «حب المحال»[١]:

لكننـــي أهـــوى الفنـــون لأنهـــا تحيـــا بمشـــكاة الخلـــود لهيبـــا

وأظـــل أُفـــتن بالمحـــال لأنـــه روح الكمـال فهل عشقت عجيبًا؟!

ومن مقالاتها الاجتماعية مقالة بعنوان: «تتزوج كارهة» تقول فيها[٢]:

«عودتنا وهي عذراء أن تلقانا ضاحكةً طروبًا تقهقه لأبسط الأسباب وتضحك لأي غمزة، وكانت دائمًا تغنّي وتعزف على قيثارها فإذا جاءتها صديقة لها جذبتها إلى غرفتها لتحملها غصبًا على الضحك والغناء والرقص إذا استطاعت.

وطال بنا عهد الفراق لتفرغ كل منا إلى شئونها الخاصة وكنت علمت خلال مدة فراقنا أنها تزوجت برجل ثري وجيه يملك ثروة طائلة ويتمتع بعظمة مادية ملحوظة وأنها أصبحت أمثولة للحظ السعيد ورمزًا للأمل الذي يتحقق على غير ارتقاب وراح صديقاتها وصويحباتها وأهلها ومعارفها يحسدونها على الزوج الغني العظيم والحياة المترفة الناعمة التي نعمت بها أخيرًا ولم يكن بد من تهنئتها فأرسلت لها برقية مع هدية متواضعة، قصيدة من الشعر صورت لها الأحلام الجميلة التي مرَّت بخيالها والمسئولية الخطيرة التي ألقيت على عاتقها ونبهتها في لباقة ولطف إلى ضرورة اغتنام جزء من سعادتها ومالها الوفير لتفرقه كرمًا وإحسانًا على المعوزين والفقراء وما أكثر معارفها وأهلها من المحتاجين وقلت لها فيما قلت: إنني آثرت أن تكون هديتي فيضًا من دمي وإحساسي وعواطفي وآمالي راجية أن تتقبلها متخذة منها هدفًا متواضعًا لتحققه إذ لم تعد في حاجة إلى هدية مهما بلغ ثمنها فعندها من الجوهر والحلي وأغلى الرياش والأثاث ما يغنيها عن هدايانا المتواضعة مهما عظمت في نظرها بعدما ملكت هذا الكنز الوفير.

ردت عليَّ يومئذٍ بكلمة موجزة تدل على أن الحياة التي غمرتها والعظمة التي تحوط بها لم تترك لها وقتًا للتفكير فيما يجب أن تقول وما يجب أن تعمله.

ومرَّ العام وجاءت لتعزي أمها في موت أبيها كما قالوا بلغة أصحاب الأسماء المرموقة وهي في الواقع حضرت لتشارك أمها المصاب.

وكان لزامًا أن أذهب لأعزيها ولأرى ماذا فعلت العظمة الجديدة أو على الأصح الأرستقراطية الممتازة بابنة الديمقراطية المتواضعة.

---

[١] المرجع السابق، (ص١٣).

[٢] مجلة الأهداف، العدد الأول، السنة الأولى (ص٣٢: ٣٦).

فلقيتني على ما كنت آمل وأتخيل إذ لم يترك همها الدفين وأساها المكبوت متسعًا لإظهار أساها وحزنها على فقد أبيها، وإن كان الناس يظنون أن ما بها من شحوب وتجهم وسكون ومرارة من فرط الألم على موت أبيها ولكنني كنت أعلم الناس بدخيلة نفسها وخفايا سريرتها، وأنها ليست من اللاتي يعصرن عيونهن على موت أي عزيز، ولطالما كانت تقول: ألسنا جميعًا ملكًا لله وديعة في الأرض يستردها حينما يشاء كل بدوره، وكان يطول الجدل في هذا الشأن بين أمها وبينها وكثيرًا ما أغضبتها لصراحتها حين تواجهها، بأنها لن تحزن إذا ماتت، وكنت ألطف رأيها بدعوى أنها تعتقد أن مصيبتها بموت أمها بعد عمر طويل – أفدح من أن تكون حزنًا، إلى هذا الحدِّ كانت تسخر بالأحزان والمصائب وإذا اضطرت للحزن كان أثر التكلف فيه واضحًا لمن يفهمها.

لذا أدركت ما فات على غيري إدراكه من نبرات صوتها الحزين وزاد في عجبي اصطحابها لكلب توليه من حنانها وحبها ما يطمع إليه كل حبيب هي التي كانت تكره الكلاب قبل الزواج كل الكُره.

قلت بعد أن خلوت بها: ما هذا المظهر الجديد لقد كنت تكرهين الكلاب؟ قالت: كنت أجهل الحياة فلما عرفتها وجدت في الحيوان من الحب والحنان ما لا أجده في إنسان إنه يحبك حبًّا بعيدًا عن الأثرة والأنانية والغرض: قلت: قولي حبًّا بلا هدف، قالت: قولي ما شئت، المهم اعلمي أن أسمى العواطف تجدينها في صداقة الحيوان. إذا امتنعت عن الأكل لمرض امتنع بدوره أرأيت أنبل من هذا الشعور؟ ثم تنهدت وأردفت: ما أتفه الحياة، قلت: ما عرفت عنك التشاؤم أبدًا؟ قالت: ربما، أما وقد أصبحت إنسانًا جديدًا غير ما عهدت فلا ضير من أن تعرفي عني ما يلازم هذا التغيير، أصارحك أنني أصبحت بنت فكر جديد، وإحساس جديد، قلت باسمة: لا شك، فكر جاه عظيم وإحساس ترف وفير، فابتسمت في حرارة وتهكم ورددت كلماتي، ثم أعقبت: أنا سعيدة. سعيدة جدًّا. فقاطعتها: وهل في ذلك شك؟ قالت في غيظ مكبوت: كلكم تظنون ذلك، وهذا سر عذابي وبلائي، ثم نظرت بعيدًا لتخفي دمعة طفرت من مآقيها، وعادت تنظر في مرارة قائلة: قصيدتك أو تذكرينها؟ قلت: يؤسفني ألا أحفظ شعري، وقد يكون الأصل ضاع بين الورق فراحت تلقيها على مسمعي بصوت حزين منغم كله حرارة وحنان وقالت: هذا القصيد وحده فتح أمام قلبي أبواب الحقائق، ثم تغير صوتها وتحول إلى نغم جاف شديد وأعقبت: كنت جاهلة ومغرورة، لم تحسن بيئتي تربيتي العاطفية ولا التعليم تربيتي الذهنية، وا أسفاه، قلت: إذن سوف يستفيد أبناؤك من معرفتك للحقائق، قالت في حرارة: وأين هم؟ لن يكون لي أولاد، قلت: لم يمر من عمر زواجك المديد السعيد بإذن الله غير عام وغدًا فقاطعتني كأنه جبل: أما الأولاد فإن الوالد وأخرستها اللوعة فأتمت كلامها بالدموع، قلت: مريض يتداوى؟ قالت: ليته مريض مقعد، وفقير معدم، ولكن يعرف كيف يكون زوجًا أمينًا شريفًا، مخلصًا عفًا، قانعًا بي، بعيدًا عن الموبقات، كان هذا التصريح وحده يكفي لأن أفهم كل شيء، فتألمت لها وحاولت جهدي أن ألطف من أساها فتكلفت الضحك محاولة أن أنتقل بها إلى كلبها فقلت: كلبك نبيل وظريف، فاغتاظت مني إذ قالت: أمرّ ما في الحياة أننا نضحك خداعًا ونبكي

خداعًا، وحياتنا ضائعة في غمرات هذا الرياء، قلت: هوني عليك، حسبك أن هدفك تحقق، إن في ذلك متعة أو لم تكوني تشتهين دائمًا وأنت عذراء أن تتزوجي برجل غني له عزبة وسيارة؟ فقالت: هذا باعث أساي، ليتني رجوت غير ذلك، وليت بيئتي ومدرستي علماني كيف أحسن التفكير وتصوير الهدف، النهاية لا فائدة انتهى الأمر.

قلت: في مقدورك أن تعالجي حياتك وتُروّضي زوجك إنه طفل كبير، قالت: ذلك فوق مقدوري، ألست امرأة؟ إن أهلي باعوني وساعدهم على البيع جشع مطامعي وضآلة تفكيري، وضعف حسي وبلائي بما ابتليت به ابنة هذا العصر التي تتزوج الذهب بعيدة البعد كله عن المعاني والروح.

هبيني اليوم أريد غير هذه الإرادة أيفهمون مرماي؟ قبل موت أبي بشهرين ولعل الذي جسم مرضه وعجّل في موته كما تقول أمي التي تنقم عليَّ اليوم، هو مصارحته بدخيلة صدري ورجوته أن يعمل على تحريري، فاتهمني بالجنون وعنفني وآثر أن أترك حياتي تتلاشى في سبيل إسعادهم ولا أكتمك أنني حاولت أن أرفع من على بصائرهم ضباب الخداع فلم يدركوا جلال الصدق خاطبتهم بلغة السماء ولغة الأرض فلم يفهموني ذلك لأنهم يعيشون في دنيا الأوهام كما كنت أعيش، ثم أطرقت باكية متمتمة: لي الله، وسكتت لتسترد أنفاسها، فعطفت عليها حيث لمحت روحها تطالعني من وراء الحجب، وقلت: فكري دائمًا إن هذا الزواج حسب اختيارك، وهذه مشيئتك، قالت: أنت واهمة، لقد كنت أطمع حقًا أن أتزوج برجل غني وجيه ولكن يحبني وأحبه، قلت: وهذا ألم تتحابا وتتفاهما؟ قالت: وهل يترك زواج الألقاب والمراكز السامية مكانًا للحب والتفاهم على صاحب اللقب والجاه أن يطلب الابنة وعلى الأهل أن يقدموها طوعًا وحبًا وكرامة؛ لأن طلبه في عرفهم أمر وإن تواضع في إبلاغه ثم أي خاطر يمكن أن يراودني في هذا الوقت غير ما ينتمي إلى الأحلام الجميلة حقًا، لم أشعر له بأي حب، وتزوجته لأنعم بالجاه مع أنه كان أمامي الرجل الذي أحبه ويحبني ولكنه لا يملك غير قوت يومه، وقد ظننت أن الزواج كفيل بأن يبدل الكره حبًا.

قلت: آه، هذه مشكلة من أدق مشاكلنا وأكثرها خطرًا، تكره الفتاة وتتزوج رغم هذا الكره، طمعًا في أن تبدل الكره حبًا، مَنْ قال يا صاحبتي إن الحب صناعة يمكن أن يصوغها الإنسان كما يشاء، قد يمكن أن يسكن الزوجان إلى بعضهما بعد تناكر وتنافر ويطمئن أحدهما إلى الآخر يأنس إليه لكن ليس معنى هذا أنه يحب الحب الصحيح الأصيل إذ الحب الروحي يجيء في النّو كالكهرباء يجذب السالب الموجب بمجرد لمسه، وما عدا لك فسميه صداقة ولذلك نجد أن كل مَنْ تزوج امرأة دون أن يحبها الحب الصحيح، يحب غيرها ويعلق بها، ويعيش بفكره وحسه لها سرًا أو علانية، حسب ظروفه، والآن لنعد إلى كرهك، أعلم أن الكره كالحب يأتينا غصبًا وله أسبابه ونتائجه، فما سبب كرهك لزوجك؟ قالت: لأنه يفهم الحياة مرتعًا خصبًا لرغباته ويفهم المرأة متعة يلتذ بها ساعة ثم ينساها، إن المرأة عنده كالخمر ولعبة مسلية آه، إنه لا يمتاز رغم تربيته العالية وجاهه العريض عن هؤلاء الذين يقبعون في الكهوف وعلى شفاههم ينشر الظمأ جناحيه ويترشف آخر قطرةٍ من ريقهم

المرير، ليته يدري أنني آلة أستهلك زيتًا ووقودًا ضئيلًا ولكنها تولد طاقة جبارة هائلة تتجمع لتحطم كل قوة تحاول أن تعصف بها، قلت: وما نهاية أمرك معه؟

قالت: سأنسى وجوده، وأعيش لهدف قصيدك. قلت: قد يسعدك ذلك ولكن ألا من سبيل لتدني قلب زوجك من قلبك؟ قالت: من المستحيل أن يتفق المجد المادي مع الحب المثالي، أما وقد ارتبط بالأول فعليَّ أن أعيش حتى ينتهي عمري مسبلة على كرهي ستارًا أنسجه من خيوط أهداف البشرية المعذبة وأفكر فيهم علّي أستطيع أن أهون عليهم بما أمنحه للمعوزين والمحتاجين من خيرات الله وهكذا كان نصيبي أتزوج كارهة».

التحليل الفني للمقالة:

عنوان المقالة يتناسب مع موضوعها ويلخص فكرتها الأساسية التي تدور حول مشكلة اجتماعية كثيرًا ما تحدث وهي: تزوج الفتاة الفقيرة من صاحب الغنى والجاه، سعيًا وراء الأحلام الخادعة، رغم افتقاد الحب والمودة، وتوهمًا بأن الحب سيأتي بعد الزواج رغم انعدام التكافؤ والتفاهم، وغلبة النظرة الدونية التي يعامل بها أصحاب الغنى والجاه الطبقات الفقيرة، ولضعف الثقافة التي تؤهل الفتاة وأهلها إلى تقدير الأمور، وتقديم ما يطمئن الروح على المظاهر الحسية الزائفة، وتعالج المقالة قضية الفقر وأضراره، والحث على التكافل الاجتماعي.

موضوع المقالة:

آثرت الأديبة عرض موضوعها في سياق قصصي مؤثر وبدأته بمقدمة تلقي الضوء على طبيعة الشخصية التي تصورها تارة بسلوكها، وتارة بأقوالها لتصل من خلال هذا الوصف إلى التحليل العميق لتلك الشخصية، وتطورها من شخصية مادية تسعى وراء المظاهر الحسية إلى شخصية مدركة لحقائق الأمور، من شخصية مرحة متفائلة تغني لأحلام الحاضر إلى شخصية متشائمة تئن لأحداث الواقع، من شخصية سلبية لا تراعي المشاعر الإنسانية، إلى شخصية إيجابية تلتفت لمعاناة البؤساء، وتحاول التخفيف عنهم، ومن ثم تصور المقالة طبقتين في المجتمع بينهما بون بعيد هما: طبقة الفقراء، وطبقة الأغنياء، وأخلاق كلٍ، وطريقته في التعامل مع الآخر، وطباعه، وغاياته.

وهذه المقدمة تلقي الضوء على طبيعة تلك الشخصية قبل زواجها من المرح والانفتاح للحياة «عودتنا وهي عذراء أن تلقانا ضاحكة طروبًا تقهقه لأبسط الأسباب وتضحك لأي غمزة، وكانت دائمًا تغنّي وتعزف على قيثارها فإذا جاءتها صديقة لها جذبتها إلى غرفتها لتحملها غصبًا على الضحك والغناء والرقص إذا استطاعت»[1].

ويبدأ الموضوع بتحقق حلم الشخصية وتزوجها بصاحب الجاه والمال، حتى صارت مضرب المثل

[1] مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص٣٢).

للحظ السعيد، وصار صديقاتها وأهلها ومعارفها يحسدونها على الزوج الغنيّ والحياة الناعمة، وإيثار الكاتبة تهنئتها بقصيدة شعرية بعد أن أصبحت لا تحتاج إلى هدية، فعندها من الحلي والجواهر وأغلى الأثاث ما يغنيها عن ذلك.

وتظهر قدرة الكاتبة على الوصف ودقة التحليل للنفوس البشرية، في رسم المفارقات الساخرة بتوالي الأحداث من موت الأب ومجيء الابنة «لتعزّي أمها في موت أبيها كما قالوا بلغة أصحاب الأسماء المرموقة وهي في الواقع حضرت لتشارك أمها المصاب»[١]، فهذا الوصف يصور انفصال الشخصية عن الحدث، وتشوق الكاتبة لرؤية ما فعلته الحياة الجديدة بصاحبتها، «وكان لزامًا أن أذهب لأعزيها ولأرى ماذا فعلت العظمة الجديدة أو على الأصح الأرستقراطية الممتازة بابنة الديمقراطية المتواضعة».

وتظهر القدرة على سبر أغوار النفس الإنسانية وإقامة الدليل على الفكرة بإدراك الكاتبة سبب الحزن العميق الظاهر على صاحبتها، وأنه لا يرجع إلى فقد أبيها، وإن توهم الناس ذلك: «كنت أعلم الناس بدخيلة نفسها وخفايا سريرتها، وأنها ليست من اللاتي يعصرن عيونهن على موت أي عزيز، ولطالما كانت تقول: ألسنا جميعًا ملكًا لله وديعة في الأرض يستردها حينما يشاء كل بدوره، وكان يطول الجدل في هذا الشأن بين أمها وبينها وكثيرًا ما أغضبتها لصراحتها حين تواجهها، بأنها لن تحزن إذا ماتت ... إلى هذا الحدِّ كانت تسخر بالأحزان والمصائب وإذا اضطرت للحزن كان أثر التكلف فيه واضحًا لمن يفهمها»[٢].

فالأسلوب القصصي بما يتضمنه من وصف ساخر يساعد على تحليل المواقف الشعورية، والعواطف الإنسانية، وتجسيد خفايا الطبائع للشخصية التي تصورها الكاتبة، فهي لا تفكر إلا في ذاتها، لا يهمها الآخر مهما كان أقرب الناس إليها، بل تتسبب في إيلامهم بالتصريح بمشاعرها تجاههم في موطن تفجع فيه النفوس، وتشعر بالوحدة والوحشة وفقد السند، وذهاب كل معنى للحياة، فالإشارة إلى انعدام المشاركة الوجدانية للناس حتى الوالدين ينبئ عن نقيصة من النقائص الاجتماعية وقفت أمامها الكاتبة لتلافيها، وتنفير المتلقي من هذا المسلك الخاطئ، وربما كان هذا المسلك هو الذي دفع الشخصية للتمرد على طبقتها والتطلع إلى طبقة أخرى لم تستطع التكيف معها، وحاولت الهروب منها، والتحرر من قهرها، فلم تجد سوى الحيوان ممثلًا في الكلب ملاذًا في العالم الجديد الذي دخلته بتطلعاتها، فلم تجن غير الألم والحسرة، وكأن التعلق بالحيوان دليل على حرمان تلك الشخصية ممن يحترم وجودها، ويقدر عطاءها، وهذا الحوار بين الكاتبة وصاحبتها يكشف عن التحول الجديد في حياة الشخصية في موقفها من الكلاب قبل الزواج وبعده بما يدل

---

[١] المرجع السابق، (ص٣٣).

[٢] المرجع السابق نفسه.

على جهلها بالحياة وضيق نظرتها إليها سابقًا: «قلت بعد أن خلوت بها: ما هذا المظهر الجديد لقد كنت تكرهين الكلاب؟ قالت: كنت أجهل الحياة فلما عرفتها وجدت في الحيوان من الحب والحنان ما لا أجده في إنسان إنه يحبك حبًّا بعيدًا عن الأثرة والأنانية والغرض».

ومما يدل على واقعية تلك القصة: أنها تعكس أفكار الكاتبة حيث كانت تتخذ كلبًا في منزلها[1].

فالكاتبة اتخذت من موقف صاحبتها من الكلب رمزًا للتحول في حياة الشخصية، حيث لم يكن ترفًا أو تقليدًا لأبناء الطبقة الثرية، بل كان معادلًا موضوعيًا يعكس حاجة الشخصية إلى الإحساس بالأمان والوفاء، وتبادل الود والرعاية والاهتمام.

وهذا البوح الوجداني والاعتراف بالأسباب التي قادت الشخصية إلى هذا العالم الجديد؛ ما يوحي بقدرة الكاتبة على التحليل والتعليل، وسلامة الحجج لإقناع القارئ والتأثير فيه: «كنت جاهلة ومغرورة، لم تحسن بيئتي تربيتي العاطفية ولا التعليم تربيتي الذهنية، وا أسفاه».

ويوحي كذلك: بالصراع النفسي المرير الذي يعتصر الشخصية بالندم والألم.

وتجلي الكاتبة عن سر شقاء صاحبتها وعذابها، وهو اعتقاد الناس أنها سعيدة، رغم أنها تتجرع غصص امتهان كرامتها مع زوج لا يقيم لها أي اعتبار، ومن ثم تلجأ الكاتبة إلى أسلوب المقارنة فضلًا عن التمني الذي يدل على الاستحالة في قول الشخصية: «ليته مريض مقعد، وفقير معدم، ولكن يعرف كيف يكون زوجًا أمينًا شريفًا، مخلصًا عفًا، قانعًا بي، بعيدًا عن الموبقات».

وكانت هذه الأسباب كفيلة برفض الشخصية الارتباط بهذا الزوج عن طريق الأبناء، ومحاولة الخلاص منه بالطلاق ومصارحة الأب بتلك الرغبة، لكنه عنّف ابنته واتهمها بالجنون، وكان موقف الأم لا يختلف كثيرًا عن الأب فقد أرجعت تفاقم مرض زوجها وموته بسبب تلك المصارحة.

فضلًا عن أن هذا الوصف لأخلاق الزوج أو بالأدق لطباعه ما يعكس في الأعم طبائع الطبقة المترفة، التي تنساق للملذات دون اعتبار لخلق أو دين، لأنها تمتلك المال الذي تشتري به ما تشاء، وتبيع ما تشاء.

ويبدو الاتزان في الحكم، وربط الأسباب بمسبباتها، ومعالجة الأمر الواقع في تلك المناقشة التي تلزم الكاتبة صديقتها بنتائج اختيارها: «أو لم تكوني تشتهين دائمًا وأنت عذراء أن تتزوجي برجل غني له عزبة وسيارة؟ فقالت: هذا باعث أساي، ليتني رجوت غير ذلك، وليت بيئتي ومدرستي علماني كيف أحسن التفكير وتصوير الهدف .... إن أهلي باعوني وساعدهم على البيع جشع مطامعي وضآلة تفكيري، وضعف حسي وبلائي بما ابتليت به ابنة هذا العصر التي تتزوج الذهب بعيدة البعد كله عن المعاني والروح».

فالكاتبة تقدم نقدًا اجتماعيًا لتلك الشخصية بنفسها وعلى لسانها، ليكون له أبلغ الأثر في إقناع

---

[1] وخصته بقصيدة في ديوانها: نبضات شاعرة بعنوان: «أوفى الأوفياء»، (ص١٩٨، ١٩٩).

القارئ، فالتي تتحدث بالمأساة وتقص آثارها هي الشخصية، وليست الكاتبة، مما يوحي بالصدق ودقة التفصيل، حيث تضعنا الكاتبة وجهًا لوجه مع لُبّ القضية التي تعالجها، وأسبابها بالتأكيد على ضعف الثقافة التي لم تؤهل الابنة وأهلها لحسن التفكير، وتجعل الكاتبة من تلك القضية مشكلة إنسانية عامة تستحق الوقوف والنقد لانسياق البنات، وراء بريق الذهب والمناصب، دون إدراك للتفاوت الطبقي، والرغبة الحادة في التخلص من الفقر، واللحاق بركب الثراء، ولو على حساب الراحة النفسية، والعواطف الإنسانية التي تأبى الرضوخ والتأقلم والتوافق مع من يظلمها ولا يكرمها.

ونلمح دقة الملاحظة وقوة التأمل في أسرار العواطف الإنسانية بتقديم الكاتبة صورة للحب الروحي الصادق، وصورة الحب الحسي الزائف، وصورة الكره وأسبابه لدى الشخصية تجاه زوجها الغني المترف، فهو لا ينظر إليها إلا على أنها جسد يحقق رغباته، كالخمر التي يتناولها، أو لعبة مسلية سرعان ما ينساها إذا ملَّ منها، ثم هو لا يفترق في طباعه عمن يعيشون مشردين مما يدل على انحطاط الطبيعة البشرية إلى أقصى قرار – رغم السمو المادي .

وهذه المقارنة التي تساوي بين أبناء الطبقات الثرية والمتدنية في الطباع، ما يصور عمق مأساة تلك الفتاة، التي آثرت الظاهر على الباطن والمظاهر على الوجدان، وتركت من يحبها وتحبه؛ لأنه فقير لا يملك إلا قوت يومه، وتزوجت بمن تكرهه ظنًّا بأن الكره سيتبدل حبًا يومًا ما.

وتصل الكاتبة بعد هذا العرض للموضوع ومناقشة أسبابه وربطها بالنتائج إلى خاتمة المقالة، ومحاولة الوصول لحل في تلك المشكلة، لأن الكاتبة لا تكتفي بعرض المشكلة دون وضع الحلول المناسبة أمام أعين القارئ، والحل الأمثل لتلك القضية هو أن تتحرر تلك الشخصية من كرهها، وتسعد بما تقدمه للفقراء من خيرات الله، وبذلك تعالج الكاتبة قضية الفقر بحثّ الأغنياء على العطاء، والتكافل الاجتماعي للمعوزين، وحث فتيات المجتمع على التأني في الاختيار، وتقديم الجوهر على المظهر، والمعاني على العَرَض، والتوافق الشعوري على مطالب الجسد، ففقر المشاعر والأحاسيس أشد ألمًا من فقر الطعام والأمعاء، مما يدل على اهتمام الكاتبة بالقضايا الكبرى التي تهم المجتمع.

خصائص أسلوب المقالة:

– تحققت في المقالة خصائص المقالة الاجتماعية من اللغة السهلة الواضحة، وصحة الفكرة، ودقة التحليل، فاعتمدت المقالة أسلوب القصَّ والحوار، والسرد الساخر، والسرد التأملي للتأثير في المتلقي، وجذب انتباهه وحمله على متابعة الموضوع في تلك الأحداث القصصية، لما يحققه هذا الأسلوب من حيوية بيانية، تتولد من التشخيص الذي ينشئه القص، حيث يقي المتلقي من صعوبات المتابعة الذهنية، وينساب إليه بتصوره من خلال التحرك الواقعي بما يضمه من كيانات حيوية نابضة، يتكلم أفرادها ويتحاورون، ويطمئنون ويخافون، ويسعدون ويشقون، ويقبلون أو يرفضون [(١)] .

[(١)] فن المقال في الأدب العربي المعاصر، أ.د. إبراهيم عوضين، (ص١٠٢، ١١٤، ١١٥).

فالقص يطالعنا منذ بداية المقالة التي تنبئ عن أحداث وقعت بالفعل، تقصها الكاتبة لتصوير المشاهد والمشاعر بالأسلوب الخبري، لتلقي الضوء على أبعاد تلك الشخصية وسماتها النفسية، من التفاؤل والطرب قبل زواجها، والتحول الكبير بعده إلى الضيق والألم.

– والحوار في المقالة أشبه بالحوار المسرحي في قصر فقراته في بعضها، وطولها في بعضها الآخر حتى تتمكن الكاتبة من عرض فكرتها وآرائها بالشرح وإقامة الحجج، وتقديم البراهين المؤيدة، فضلًا عن أنه يعطينا صورة ناطقة بأعماق الشخصيات.

– والسرد الساخر يبرز عند وصف مواقف الشخصية في تعاملها مع المصائب والأحزان التي تمر بغيرها ولو كان أقرب الناس إليها، مما يوحي بانعدام المشاركة الوجدانية ورقة الإحساس.

– والسرد التأملي يبرز في حديث الكاتبة عن صورة الحب الأصيل في مقابل الحب المتصنع أو الزائف، وصورة الكره بما يدل على روح الفيلسوف الخبير بالطبائع البشرية، وخفايا النفوس، ويدل على ثقافة الأديبة الواسعة التي تمكنها من التحليل والتعليل والشرح، وتقديم الحلول للقضية التي تعالجها، بل ومعالجة ما يتعلق بتلك القضية، فلم تكتف الأديبة بمعالجة قضية زواج الفتيات الفقيرات من الأثرياء المترفين رغم افتقاد المحبة فحسب، وإنما ألمحت لأسباب تلك القضية منذ بداية المقالة بالحث على التكافل الاجتماعي، وإلزام الموسرين برعاية حقوق الفقراء، وإبراز هذه الفكرة بصورة واضحة في نهاية المقالة وتقديمها كحلّ يرفع الألم عن كاهل الشخصية المحورية، ويخفف عن معاناتها، بالتخفيف عن معاناة الفقراء، وإمدادهم من خيرات الله التي أنعم بها عليها.

– يمتاز الأسلوب بالإطناب لأن الكاتبة أمام مشكلة اجتماعية يعج بها الواقع، وهذا يتطلب الإطناب في عرض الفكرة وتوضيح أبعادها، وذلك واضح في جميع أفكار المقالة من القدرة على التحليل والتعليل، ولهذا تحقق في المقالة عنصرا: الإقناع بالتفصيل ودقة الوصف، والإمتاع الفني بالتأثير في المتلقي، والمعايشة الوجدانية لما يمر بالشخصية المحورية من صراعات وآلام، وصدق العاطفة في استبطان دواخل النفوس البشرية سعادة وشقاء، حضورًا وغيابًا، سلبًا وإيجابًا، فضلًا عن اعتماد أسلوب القص الذي يشعر القارئ باللذة في المفارقات والمقارنات.

برزت قوة العاطفة وصدقها في تناول الكاتبة لهذا الموضوع الذي يدل على معايشتها الكاملة لقضايا المجتمع، وعدم انعزالها في برج عاجيّ، ودورها الإيجابي في الإصلاح الاجتماعي بالأخذ بيد الأمة إلى كل فضيلة بأسلوب النقد الهادف، والفكاهة البارعة.

– ظهرت قوة الشخصية في مناقشة الكاتبة للأسباب التي دفعت بالشخصية المحورية لهذا المصير، وإقامة الحجة عليها، بأن هذا كان محض اختيارها منذ أن كانت بكرًا، بل كان ذلك أقصى غاياتها وأحلامها، ومع ذلك تشيع الرحمة في جوانب نفس الكاتبة، وتشعر بالأسى للمحنة التي تمر بها الشخصية التي تصفها، فتعطف عليها، ولا تعنفها، بل تحاول التماس المخرج من المأزق التي وضعت فيه نفسها.

– خلت المقالة من المبالغة والتهويل، واعتمدت الكاتبة في رسم صور الخيال الحية من خلال الصورة الجزئية المتناثرة في المقالة، لاستثارة عواطف المتلقي، وتنفيره من الإقدام على هذا الاختيار ، من ذلك اعتماد الكتابة على الصورة التشبيهية لإخراج المعنى الأغمض إلى المعنى الأظهر، كما في تصويرها للحب الروحي الأصيل بالكهرباء حيث يجذب السالب الموجب بمجرد لمسه في التّو، وهذه الصورة أتت بها الكاتبة في إطار رسم المفارقات بين الحب الروحي والحب الزائف أو المتصنع الذي يتوهم التماسه بطول الزمن والمصاحبة، التي تقود إلى الصداقة وليس الحب الأصيل، لأن شرطه الانجذاب والميل الروحي في التَّو وليس على مدى الزمن. وهذه الصورة يتطلبها المعنى وأفادت التنفير من الزواج رغم الكره. «إذ الحب الروحي يجيء في التّو كالكهرباء يجذب السالب الموجب بمجرد لمسه».

ومن تلك الصورة التشبيهية تصوير المرأة – في نظر الغني المترف – بالخمر التي يحتسيها ساعة ليلتذ بها ثم يتركها، أو باللعبة التي يمارسها ثم يملها إلى غيرها، تصوير يكشف عن طبيعة الفطرة الإنسانية المترفة في سوء تقديرها للأمور واختلاط الأمر عليها، لانعدام الإحساس بغاية تحققها، وهدف نبيل تعيش من أجله «إن المرأة عنده كالخمر ولعبة مسلية».

ولذلك تصور الكاتبة هذا الغني المترف في تدني أخلاقه، وانحطاط طباعه، بالمشردين في الجبال، حيث يتساوى الجاه العريض مع الفقر المدقع، في انحطاط الغريزة البشرية إلى أقصى قرار، وهي صورة مبتكرة تدل على خيال الكاتبة الخصب الذي يربط بين المتباعدات «إنه لا يمتاز رغم تربيته العالية وجاهه العريض عن هؤلاء الذين يقبعون في الكهوف وعلى شفاههم ينشر الظمأ جناحيه ويترشف آخر قطرةٍ من ريقهم المرير»، تصوير يوحي بانتهاب اللذات، وشدة ظمأ أرواحهم، وتعطشها إليها مهما ارتوا منها، على سبيل الاستعارة التمثيلية حيث صورت حالتهم السابقة بهيئة الطائر الذي ينشر جناحيه من شدة الظمأ، ويترشف آخر قطرة من الماء، وفائدة الصورة: إبراز مدى حرصهم على تحقيق الملذات، وارتشافهم إياها كالطائر الظمآن الذي يترشف الماء وينشر جناحيه خوفًا من أن يزاحمه طائر آخر على الماء، أو لعل المعنى: أنه أوشك على الهلاك من شدة الظمأ، مما يوحي بشدة حرصه على ارتشاف الماء.

– تمتاز الألفاظ بالترادف اللفظي كما في: (ضاحكة، طروبًا، تقهقه، تضحك)، (تغني، تعزف، الغناء)، (ثري، ثروة طائلة، عظمة مادية)، (صديقاتها، وصويحباتها، أهلها ومعارفها)، (الغنّي، المترفة الناعمة)، (إحساسي، وعواطفي)، (الجوهر، الحلي، الرياش والأثاث، الكنز الوفير)، (همها الدفين، أساها المكبوت، أساها وحزنها)، (دخيلة نفسها، خفايا سريرتها)، (ملك الله، وديعة في الأرض)، (الأثرة، الأنانية والغرض)، (باعوني – البيع)، (ضآلة تفكيري، ضعف حسي)، (الأسماء والألقاب، والمراكز السامية)، (حب، يحبني أحبه)، (المعوزين، المحتاجين، البشرية المعذبة، الفقراء)، (عهد الفراق، مدة فراقنا).

وهذا التكرار بالترادف يسهم في الاهتمام بموسيقى التعبير، والإفصاح عما تريده الكاتبة في عذوبة لفظ ووضوح بيان، ولهذا لا يعد معيبًا.

– عُنِيَتْ الكاتبة بتزيين الأسلوب بالمحسنات البديعية التي جاءت طبيعية غير متكلفة، كالسجع في: «إنني، هديتي، دمي، إحساسي، عواطفي، آمالي، راجية، متخذة، زوجًا، أمينًا، شريفًا، مخلصًا»، وللسجع فائدة كبيرة: بما يحدثه من النغمة المؤثرة والموسيقى القوية التي تطرب لها الأذن، وتهش لها النفس، فيتمكن المعنى في الأذهان[1].

– عُنِيَتْ الكاتبة أيضًا بالإيقاع المعنوي المتمثل في تقابل الجمل الذي يوضح المعنى، ويكشف عما فيه من تناقض، كما في: «نبكي خداعًا، نضحك خداعًا» لتدل على تناقضات الحياة، والرياء الغالب على طبائع نفوس البشر، وبين : «جشع مطامعي وضآلة تفكيري» لتبرز الأسباب الحقيقية لمأساة زواجها، وجاء الطباق بين: «الكره والحب»، «سرًا وعلانية»، «المجد المادي، الحب المثالي»، «لغة السماء ولغة الأرض»، فهو يوضح المعاني بالتضاد، ويثري الألفاظ بالنغم الساطع، ويثير الانفعال، ويوحي بمعاناة الشخصية من سوء الاختيار لشريك عمرها.

وبرز التوازن بين الجمل وتناغم الفقرات في تعبير الشخصية عن نفسها في الحاضر، «إنني أصبحت بنت فكر جديد، وإحساس جديد، فكر جاه عظيم وإحساس ترف وفير، ليته مريض مقعد، وفقير معدم، جشع مطامعي، وضآلة تفكيري، وضعف حسي وبلائي».

وهذا التوازن والتناغم بين الجمل والفقرات مما يقرب الأسلوب النثري من الشعر، ويدل على دراية بأسرار اللغة، وتمكن منها.

وتبدو القدرة على اختيار ألفاظ اللغة التي تكتنز المعاني وتثير الانفعال، واستخدام الأساليب الخبرية والمزاوجة بينها وبين الأساليب الإنشائية، كما في قول الكاتبة: «كنت جاهلة ومغرورة، لم تحسن بيئتي تربيتي العاطفية ولا التعليم تربيتي الذهنية .... إن أهلي باعوني» فالأسلوب الخبري الذي تقص به الشخصية ماضيها، يوحي بأن الكاتبة تسرد حقائق وقعت وانتهت، ويجيء أسلوب النفي: لم تحسن بيئتي تربيتي»، ليوحي بإحساس الشخصية بالألم والحزن، لضعف الثقافة والتعليم الذي يحدد للإنسان أهدافه وخطواته، وينير له المسالك.

وتقرير المأساة وتأكيدها بإن والجملة الاسمية والألفاظ المصورة الموحية في: «إن أهلي باعوني» يحمل عمق الإحساس بالعجز والقهر للإرادة الإنسانية، أمام بريق المال الخادع، حيث تضيع القيم في ظل تحول الإنسان إلى سلعة تباع وتشترى، ويعكس ثقافة فئة في المجتمع لديهم الرغبة والاستعداد الكامل لهذا الصنيع تجاه فلذات أكبداهم، في كل زمان ومكان.

ويكثر الاستفهام الذي يخرج عن معناه الحقيقي إلى التقرير في قولها: «أو لم تكوني تشتهين دائمًا

---

[1] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، (ص١١).

وأنت عذراء أن تتزوجي برجل غني له عزبة وسيارة؟» لإفادة إقامة الحجة على الشخصية في مسلكها.

ومن ذلك قولها: «ألم تتحابا وتتفاهما» لإفادة الإنكار والتعجب، وقولها: «وهل يترك زواج الألقاب والمراكز السامية مكانًا للحب والتفاهم»، حيث دلّ الاستفهام على النفي القاطع لأن يجتمع الحب الروحي والجاه والمناصب السامية معًا، وفي الفقرة محسن بديعي وهو (رد العجز على الصدر) وهو أن «يرد أعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك، وتقتضيها الصنعة، ويكسب (الكلام) الذي يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقًا وديباجة ويزيده مائية وطلاوة» [(١)].

فقد ردت عجز الجواب «للحب والتفاهم» على صدر السؤال: «ألم تتحابا وتتفاهما؟».

ومنه قولها: «لم أشعر له بأي حبّ، وتزوجته لأنعم بالجاه مع أنه كان أمامي الرجل الذي أحبه ويحبني ولكنه لا يملك غير قوت يومه، وقد ظننت أن الزواج كفيل بأن يبدل الكره حبًا».

فقد ردت عجز الكلام: حبًا على صدره: حبّ، مما يزيد الكلام بهاء ورونقًا فضلًا عما فيه من التكرار الذي يوحي بما يرتكز في بؤرة شعور الشخصية، وما يلح عليها من معان تعمق إحساس القارئ بطبيعة الانفصال الحاد بين الزوجين، وتشرح مدى التنافر والاختلاف.

– اعتمدت الكاتبة إطار القصة القصيرة للمقالة ذات المغزى الاجتماعي الذي يتناول عرض المشكلة وحلها، مما جعل المقالة محكمة النسج قوية التفكير شائقة العرض قوية المنطق، تحقق الإمتاع الفني للمتلقي، باستمداد الكاتبة موضوعها من أعمق ذكرياتها، وأصدق تجاربها في واقع الحياة، فضلًا عن اللمسة الإنسانية التي تتعاطف بها الكاتبة مع الشخصية في الإحساس بآهاتها، ولذلك نأت الكاتبة عن إطلاق الأحكام العامة على الشخصية، بل جعلت الشخصية تتحدث عن مأساتها بنفسها وعواقب اختيارها، ودوافعه.

وفقت الكاتبة في تناولها لمشكلة اجتماعية واقعية مهمة، تستحق النقد والتوجيه، وكانت الثقافة الواسعة هي المعين الذي مكن الكاتبة من تناول المشكلة من كافة أسبابها: سواء من الشخصية، أو الأسرة، أو التربية، والثقافة، وتقديم كافة الحلول: من ترويض الزوج، أو محاولة تقريب قلبه إلى قلب زوجته، أو تناسي الكُرْه بالإسقاط النفسي، والتعويض عنه بالإحسان إلى الفقراء والمحتاجين والتخفيف عن معاناتهم، مما يبعث السعادة في نفس الشخصية في الحياة الجديدة التي منحتها الغنى، وحرمتها الوفاق الروحي.

[(١)] العمدة لابن رشيق، ج١، (ص٥٦٠)، ط١.

ثالثًا: المقالة الوصفية

«وتعتمد قيمتها الحقيقية على دقة الملاحظة وعلى التعاطف العميق مع الطبيعة الذي لا يحور إلى عاطفية مسرفة، ثم على الوصف الرشيق المعبر الذي ينقل أحاسيس الكاتب وصورة الطبيعة كما تنعكس على مرآة نفسه، بصدق وإخلاص، والغاية الأولى في مثل هذه المقالات هي تصوير البيئة المكانية التي يعيش فيها الكاتب كما تتراءى لإنسان عميق الإحساس حاد البصر نافذ البصيرة .... ولعل مما يفسد هذه المقالة، ويعصف بقيمتها الفنية، اتجاه الكاتب إلى السفسطة والتفلسف والتحليل والتعليل، فالتصوير الساذج البسيط، هو الخاصة الأولى للمقالة الفنية، كما أنه الخاصة الأولى للقصيدة الغنائية»[١].

وقد برع في هذا اللون الأدبي الكثير من الأدباء كالرافعي، والعقاد، ومي زيادة، وميخائيل نعيمة، وأحمد أمين، والأديبة جميلة العلايلي، فقد وقفوا أمام الطبيعة يناجونها مناجاة الإنسان، ويضفون عليها في كثير من الأحيان صفات الإنسان، وتلك هي قمة المشاركة الوجدانية والانجذاب العاطفي بين الكاتب والطبيعة، فلم يقفوا في تصوير الطبيعة عند الوصف الحسي، والتصوير الخارجي الذي يصف الطبيعة كما هي في واقعها المادي، بل كان هيامهم بالطبيعة، عاملًا مهمًّا وفعالًا في منح مقالاتهم الوصفية شيئًا من الحيوية والحركة، وإضفاء نبض الحياة وخفقان القلوب على نثرهم، مما يجعل هذا الوصف أدخل في باب الوجدانيات من الوصف الحسي[٢].

ولا شك أن مناجاة أديبتنا للطبيعة سمة من سمات شعر الطبيعة عندها، فضلًا عن مدرسة «أبولو» الشعرية التي تنتمي الشاعرة إليها، فقد كانت الطبيعة تدخل في جلّ أغراضهم الشعرية، واستنبطوا دقائقها، واستوحوا مشاهدها، وأفردوا لها قصائد كاملة، فقد كانوا يلوذون بذواتهم إلى أبهاء الطبيعة ولعل ذلك راجع إلى نزعتهم الانطوائية[٣].

ومن مقالات أديبتنا الوصفية مقالة بعنوان: «**طيف الربيع مع الشاعر، للربيع نشوةٌ تمد الروح بشذا الخلد البهيّ**». تقول فيها[٤]:

خلا المكان إلّا من أنفاسك ترفّ عليَّ، وخلا المكان إلا من طيفك يبدو من وراء ناظريّ، ووراء ناظريّ قلبي الأمين يخضع لناموسك. خلا المكان ولكني أشعر أن العالم يحوطني وأن المكان مليء بأخيلة تهف أمامي محسوسة ولا وجود لها إلا في قلبي الوسيع.

وللخلو غفوةٌ شبيهة بغفوة النائم امتطيتُ معها جوادَ الربيع وهو يجتاز بي محيط العالم الروحاني

---

[١] فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص١١٤، ١١٥).

[٢] فن المقالة في ضوء النقد الأدبي، د. عبد اللطيف محمد، (ص١٩٢).

[٣] مدرسة أبولو الشعرية في ضوء النقد الحديث، د. محمد سعد فشوان، (ص٢٥٤، ٢٥٥).

[٤] مجلة أبولو، المجلد الثاني، (ص١٠٦١: ١٠٦٤).

مأخوذة بسكرة الربيع ويا لها من سكرة! رشفت خمرها بكأس فم الروح الرفيف وهو يحملني على الصعود إلى ملكوت الخلود حيث يسكن الروح الأليف.

وعلى بساط الربيع انبسط جسمي وقد استشعر قلبي بما وراءَ الربيع.

سهوت عن نفسي ... ونسيت كياني في عالمي المحدود.

خلفَ شعاعٍ من الضوء سرتُ حيث لا أدري والنسيم يحملني برقة إلى حيث أبغي، ويا لها من رحلة شاهدت فيها من جمال الكواكب الربيعية ما بهرني بهاؤه. سمعت صوتًا يحاكي نغمة العود رقة تتماوج نبراته بين حنين والتياع، وبدأ الضوء خلف الشجر الكثيف يداعبني في حذر ويستهويني للدنو منه، وإليه ذهبت وتجاهه جلستُ، أستنطق الضوء سرّه وقد ظهرت ملامح الشبح الرزين ... سمعت قلبه يشدو شعرًا ويوقع نغمًا ... اقتربت منه وأنا أترنح طربًا، ولكنه ابتسم ابتسامة موشاة بالأنين وقال: أولم تسمعي صراخ قلبي – قلبي يضايقني خفوقه .. وكدتُ من فرط الحس له أسمع قلبي يجاوبه صداه، قلت: لا تسمّه خفوقًا، سمِّهِ شعرًا ولحنًا، إنه الشعر يفيض على جوانب قلبك الحساس، فيجيء في أذنك كالنبض السريع.

وبدت مني التفاتةٌ إلى حيث يعلق نظره فوجدت النجوم بلآلئها تستمدّ من عينيه قوة الإشعاع فقلت: عيناك ... أرى الربيع مرتسمًا بجلاء فيهما ! فتأوّه ملتاعًا وقال: أو تحسبين يا صغيرتي ربيع العمر يخلد؟ ولّى الربيع فعزّني ... قلت: لا، ولكنه يذهب ليعود ويعود ليذهب، أو يخلد الخريف؟ إن عجلة الحياة تتطلب من الفصول شحمًا وهو لابدّ لها ونحن شحم الفصول، فلنكن شحم الربيع، إن الربيع أخلد الفصول يا ملاكي، وإن ولى.

هب أن طيرًا أصابه رشاش قادر فعجز الطير الكسير عن اجتياز الفضاء الوسيع أفلم يهدأ في وكره ليغني، وما ضرّ الطير لو هدأ وغنى، فصرخ من الأعماق، قلبي .... قلبي ... قلبي صريع الحب، قلبي قتيل الغرام يئن ويشكو فهل من دواء؟

قلتُ: وقلبي طليق الحب، كبير الأماني، رحيب الصَّبا، فأعطني ما تبقى لك من الآلام، أعطني ظلام قلبك وخذ ضياء قلبي، قلبي في حاجة إلى الظلام ليكتشف ما وراء أسراره الرهيبة.

خذ رشفة الخلد لتخلد، وأعطني جرعة الفناء لأفنى، حاول أن يلمس قلبك الجريح قلبي المُعاني وإن مرض قلبي فالدواء بين يديك يسير ... حاول أن يلمس قلبُك قلبي ولا تحاول أن ترعاه، بل دعني أرعى قلبك البئيس ولست أحرص عليه لنفسي فقد صارعت جرثومة الأنانية حتى قتلتها ولكني أحرص عليه لك وللشعر والحياة ... فإن وفّقتُ إلى نجاح عمليتي عشتُ بجانب شعرك أستوحيه الطهر والاطمئنان، وإن أخفقتُ كنتُ الشهيدة الجديرة بالرثاء ... قال: وكيف تُضْنين نفسك في سبيل شبحٍ فرّ عنه الربيع؟

قلت: أولستَ صورة الحياة وأنا أحبّ الحياة؟ أولم يهبك الربيع ازدهاره وعبيره وأنا أحب الربيع؟ أنا أحبك في الخريف فالربيع عندي ملء قلبي ! فتعال أضمك إلى هذا القلب لأشعرك بحيوية الربيع،

ورتّل يا طائري أسمى أغانيك على فنن قلبي فهو وكرك الأمين ! رتل ! رتل ! ولا تحاذر من النسيم.

مالي وللأجسام شأنٌ يا أليفي، أنا أحبّ روحَك، وروحُك أحب إليَّ من الحياة.

أي جسم أطلبه وأي قلب أنشده.

لا شيء ! لا شيء !

ولكن سلني أي روح أرجوه؟ روحُ الشاعر، روح الملهم، روحٌ ترفّ عليَّ فتهبني نسمات الحياة يجري عبيرُها في شراييني فتحبوني بالحياة فأحيا بالشعر وله.

فردّد الشاعر والدمع يحاول أن يخونه: قلبي... قلبي ... أو تحسبينه يكفل لي البقاء طويلًا؟ وكاد يهوي على الأرض بغير هوادة، ولكني أسندته شفوقة على صدري الصغير الحنون ... وبكيت له وعليَّ، وبكيت عليَّ وله، قلتُ: عشت نصف عمرك بقلبك فعش النصف الآخر بروحك، ودع قلبك يخفق شعرًا ولا تجشِّمه عناء الحب الجديد، ولا أظن أن الطير يأوي إلى بقايا الحصون – فلو فعل لقضى على نفسه وعليك ... عش بروحك العظيم ودعني أحملك برفق على جناحيْ روحي إلى حيث تريد أن تقيم.

اسكب دموعك في قلبي، وانشد ربيعك من قلبي، وعش بأماني الربيع كما تحب أن تخلد: نحن أقل غباءً من البشر يا أليفي . فلم لا نحطم قيود البشر الوضيعة ونشيد لهم حياةً من الروح أمجد وأبهى؟

الحياة أنشودة طويلةٌ أولها الأمل وآخرها القنوط ... وجيلٌ من الأمل يعادل ساعة من القنوط في تفكيره فاجعل أملك في الله عظيمًا وخلّ عنك ... خلّ عنك الماضي بذكرياته فإن جرثومة الذكرى المؤلمة فتاكة، فحاول أن تقتلها وارشف من منهل الأماني والمرح ما يحلو لك ... وخلّ عنك .. وهنا تلاشى هيكلي أمام روحي وفتحت عينيّ ليقرأ فيهما ما عييت عن إيضاحه ... فتحت عيني فلم أر شيئًا ووجدتني على بساط الربيع في عالم الخيال».

التحليل الفني للمقالة:

عنوان المقالة: «طيف الربيع مع الشاعر ...» يتناسب مع ما ورد بالمقالة من خواطر يثيرها طيف الربيع في نفس الشاعرة، ويدفع في القارئ الرغبة لقراءة المقال.

الفكرة الرئيسة للمقالة: المقالة ترجمة ذاتية لتجربة الأديبة الشاعرة تجاه طيف الربيع، وما يمدها به من خيالات وأحاسيس رائعة، تفيض بالشعر في قلبها، فتجعله يخفق، وتسمع صداه في أذنها، كالنبض السريع، فالمقالة تعبر عن تجربة واقعية لأثر طيف الربيع على نفس الشاعرة فضلًا عن الشعراء عامة، وهي تقترب بأسلوبها من القصيدة الغنائية التي تصور خواطر متنوعة وإن ضمها رابط شعوري واحد هو ذات الأديبة التي كتبتها، فالطابع الشعري المصور هو الغالب على هذه المقالة فيما ورد بها من صور فنية تدل على خيال الأديبة الخصب، وبموسيقاها الداخلية المنبعثة

عن دقة اختيار الكاتبة للكلمات، وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات، وهذا «يستلزم دراية بأسرار اللغة الصوتية وقيمها الجمالية، ووقوفًا تامًا على التناسب بين الدلالات الصوتية والانفعالات التي تتراسل معها، وما يتبع ذلك من تلميح وتركيز وسرعة وبطء، وتكرار وتوكيد وتنويع في النغم، لا يمكن أن يوفق فيها إلا ذو رهف في الحس، وثقافة فنية ولغوية واسعة»[(١)].

مقدمة المقالة: بدأت الكاتبة مقالتها بمقدمة وصفية تلخص الموضوع وتبين أساس فكرته، بتصوير أثر الخلوة التي تدفع النفس إلى التأمل، والانطلاق مع خواطر النفس، حيث إن للخلوة غفوة شبيهة بغفوة النائم، رأت فيها الكاتبة طيف الربيع يملأ المكان بأنفاسه العطرة، ويرف عليها بدفء نسائمه، ويحوطها بعطفه كأن العالم كله معها، ويحملها الطيف على بساطه، وينطلق بها إلى حيث تريد، في رحلة ربيعية شاهدت فيها من جمال الكواكب ما بهرها بهاؤه.

«سمعت صوتًا يحاكي نغمة العود رقة تتماوج نبراته بين حنين والتياع، وبدأ الضوء خلف الشجر الكثيف يداعبني في حذر ويستهويني للدنو منه، وإليه ذهبت وتجاهه جلست، أستنطق الضوء سرّه وقد ظهرت ملامح الشبح الرزين».

من خلال تلك المقدمة تظهر قدرة الكاتبة على امتلاك وسائل الوصف والإبداع فيه، لما تتمتع به من ذكاء حاد، وقوة الملاحظة، والقدرة على التحليل العميق، لأثر طيف الربيع على وجدانها، وانجذابها إليه، وهذه المقدمة مهمة لأنها تتسم بالحيوية والطرافة لاجتذاب القارئ والاستئثار بانتباهه وكل ما جاء بعد ذلك في المقالة هو تحليل وشرح للفكرة، استعانت فيها الكاتبة بتجربتها الشعرية الخاصة من خلال المناجاة لطيف الربيع واستنطاقه بالحوار والتجاوب معه، بالمشاركة الوجدانية.

موضوع المقالة: استوحت الكاتبة طيف الربيع معادلًا موضوعيًا لتغليب الأمل على اليأس، واستمرار عجلة الحياة برغم الأحزان التي رمزت لها بالخريف «وبدت مني التفاتةٌ إلى حيث يعلق نظره فوجدت النجوم بلآلئها تستمدّ من عينيه قوة الإشعاع فقلت: عيناك ... أرى الربيع مرتسمًا بجلاء فيهما ! فتأوّه ملتاعًا وقال: أو تحسبين يا صغيرتي ربيع العمر يخلد؟ ولّى الربيع فعزّني ... قلت: لا، ولكنه يذهب ليعود ويعود ليذهب، أو يخلد الخريف؟ إن عجلة الحياة تتطلب من الفصول شحمًا وهو لابدّ لها ونحن شحم الفصول، فلنكن شحم الربيع، إن الربيع أخلد الفصول يا ملاكي، وإن ولى»[(٢)].

وتقرر الكاتبة هذه الفكرة وتشرحها بأمثلة واقعية محسوسة مستمدة من مشاهداتها في الطبيعة، فالطير الكسير يغني في وكره حتى ولو أصابه رشاش، صياد قادر «هب أن طيرًا أصابه رشاش قادر فعجز الطير الكسير عن اجتياز الفضاء الوسيع، أفلم يهدأ في وكره ليغني، وما ضرّ الطير

---

(١) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، (ص٤٤٨).

(٢) مجلة أبولو، المجلد الثاني، (ص١٠٦٢).

لو هدأ وغنى ...» [1].

فالكاتبة تجسد روعة التصميم على الأمل والحياة من خلال هذا الرمز من رموز الطبيعة «الطائر الكسير» الذي يودّ التحليق ولكن تعوقه المعوقات ومع ذلك يغني.

وتبدو المشاركة الوجدانية للطبيعة في مناجاة الكاتبة لطيف الربيع الذي تود افتداءه بقلبها الكبير الأماني، الرحيب الصِّبا، الذي تحرر من الأنانية، حرصًا على طيف الربيع الذي يمدّ الحياة بالأمل، ويوحي بالشعر للأدباء كما في هذا الحوار:

«قال: وكيف تُضْنين نفسك في سبيل شبح فرّ عنه الربيع؟

قلت: أولستَ صورة الحياة وأنا أحبّ الحياة؟ أولم يهبك الربيع ازدهاره وعبيره وأنا أحب الربيع؟ أنا أحبك في الخريف فالربيع عندي ملء قلبي! فتعال أضمك إلى هذا القلب لأشعرك بحيوية الربيع، ورتّل يا طائري أسمى أغانيك على فنن قلبي فهو وكرك الأمين ! رتل ! رتل ! ولا تحاذر من النسيم».

فالكاتبة تؤكد من خلال هذا الوصف لطيف الربيع على عدم الركون إلى المآسي طويلًا، والإطراق الحزين للمصائب، بالتفكير في نهاية الحياة، كما أن طيف الربيع لا ينقطع في الخريف، وهذا التصوير للطبيعة كما تنعكس على وجدان الكاتبة، والامتزاج بها في انفعال صادق، يظهر ملامح شخصية الأديبة القوية الآسرة، ويشدّ انتباه القارئ لمبادئ الأديبة، ونظرتها للحياة، وهي أنها لا تطيل النظر إلى عالم الأرض بما فيها من آلام وأحزان، بل دائمة الطموح بعينها إلى السماء بما فيها من تحليق في النور والإشراق والأمل .

ومن ثم كانت الخاتمة خلاصة لهذه الفكرة المنتقاة من تجارب الأديبة في الحياة، ومشاهد الطبيعة لإفادة القارئ بها، دون أن تلقنها الكاتبة له في صورة وعظية مباشرة: «ولا أظن أن الطير يأوي إلى بقايا الحصون – فلو فعل لقضى على نفسه وعليك ... عش بروحك العظيم ودعني أحملك برفق على جناحيْ روحي إلى حيث تريد أن تقيم. اسكب دموعك في قلبي، وانشد ربيعك من قلبي، وعش بأماني الربيع كما تحب أن تخلد: نحن أقل غباءً من البشر يا أليفي . فلم لا نحطم قيود البشر الوضيعة ونشيد لهم حياة من الروح أمجد وأبهى؟» [2].

فالكاتبة بمقالتها تزين الأمل والتفاؤل في النفوس، وتبغض اليأس والقنوط والتشاؤم «الحياة أنشودة طويلةٌ أولها الأمل وآخرها القنوط ... وجيلٌ من الأمل يعادل ساعة من القنوط في تفكيره فاجعل أملك في الله عظيمًا وخلّ عنك ... خلّ عنك الماضي بذكرياته فإن جرثومة الذكرى المؤلمة فتاكة، فحاول أن تقتلها وارشف من منهل الأماني والمرح ما يحلو لك ... وخلّ عنك ..» [3].

---

[1] المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.

[2] مجلة أبولو، المجلد الثاني، (ص١٠٦٣).

[3] نفسه.

الخصائص الفنية للمقالة: الأسلوب: هو «طريقة الكتابة أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير»[١].

وأسلوب الكاتبة في هذه المقالة الذاتية الوجدانية، مفعم بالإيقاع الموسيقي العذب الذي ينفذ إلى النفس، وكأن الكاتبة تعزف قطعة موسيقية بعيدة الأغوار، متباينة الجرس، خافتة هنا، صاخبة هناك، إلا أنها متسقة الألحان، منسجمة الأنغام، توقظ الحواس، وتثير الانفعال، بالتوازن الدقيق بين العبارات، وتنسيق الجمل في وحدات مترادفة متساوقة[٢].

كما في قولها: «خلا المكان إلّا من أنفاسك ترفّ عليَّ، وخلا المكان إلا من طيفك يبدو من وراء ناظريّ، ووراء ناظري قلبي الأمين يخضع لناموسك».

«فصرخ من الأعماق: قلبي .... قلبي ... قلبي صريع الحب، قلبي قتيل الغرام يئن ويشكو فهل من دواء؟ قلتُ: وقلبي طليق الحب، كبير الأماني، رحيب الصِّبا، فأعطني ما تبقى لك من الآلام، أعطني ظلام قلبك وخذ ضياء قلبي، قلبي في حاجة إلى الظلام ليكتشف ما وراء أسراره الرهيبة.

خذ رشفة الخلد لتخلد، وأعطني جرعة الفناء لأفنى، حاول أن يلمس قلبك الجريح قلبي المُعاني وإن مرض قلبي فالدواء بين يديك يسير ...».

فألفاظ الكاتبة تمتاز بالجرس المؤثر، والعبارات الأنيقة الرشيقة المنبعثة عن السجع العفوي غير المتكلف «عليّ – ناظريّ، شعرًا، نغمًا، طربًا، خفوقًا، لحنًا» فاتفاق الجمل في حرف واحد في نهايتها يحدث نغمة قوية مؤثرة تطرب لها النفس، ويتمكن بها المعنى، والتكرار بالترادف اللفظي كما في: «قلبي صريع الحب، قلبي قتيل الغرام»، «يئن ويشكو»، «طليق الحب، رحيب الصبا»، «قلبك الجريح، قلبي المعاني»، فضلًا عن التوازن الصوتي في الجمل بالازدواج الذي تتساوى فيه الجملتان في الأوزان، وتكرار الألفاظ كما في: «قلبي، قلبك» التي تكررت كثيرًا لتعكس الامتزاج بالطبيعة والتجاوب معها بالحوار المتخيل بين الكاتبة وطيف الربيع.

وكما في المقابلة بين الجمل كما في: «قلبي صريع الحب، قلبي طليق الحب، أعطني ظلام قلبك وخذ ضياء قلبي»، «خذ رشفة الخلد لتخلد، وأعطني جرعة الفناء لأفنى»، فضلًا عما فيها من حسن التقسيم الذي هو أشبه بفواصل موسيقية يلجأ إليها الأديب لتكثيف الموسيقى بالتكرار النغمي والتوافق الصوتي بين الجمل المتساوية، فضلًا عن الإيقاع المعنوي المتمثل في تقابل الجمل الذي يوضح المعنى ويعمق الإحساس به ويكشف عما فيه من مفارقات عجيبة، توحي بالعالم النفسي المضيء بالتفاؤل والأمل للأديبة.

ومن الطباق الذي يؤتى به لخدمة المعنى، وإثراء الصورة وتنميقها بالنغم الخفي، فضلًا عن أنه يكسو الكلام طلاوة وبهاء، والمعنى وضوحًا وبيانًا كما في: «الأمل – القنوط»، «صريع –

---

[١] الأسلوب، تأليف أحمد الشايب، (ص٤٤)، مكتبة النهضة المصرية، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

[٢] فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص٨٩) بتصرف.

طليق»، «ظلام – ضياء»، «الخلد، الفناء»، ليوحي بشدة التناقض بين عالم الأمل بما فيه من نسمات الضياء والانطلاق، وعالم القنوط المظلم الكئيب الضيق.

ومن طباق السلب الذي يضفي الروعة والبهاء، ويؤثر في جرس الكلمة كما في: «سرت حيث لا أدري، والنسيم يحملني برقّة إلى حيث أبغي»، «حاول أن يلمس قلبك قلبي، ولا تحاول أن ترعاه».

فقد جاء الطباق بين: (لا أدري – أبغي)، و(حاول، ولا تحاول) للتعبير عن حالات نفسية تتداعى فيها المعاني إلى الذهن دون خفاء أو تكلف، بل تنساب مع الطبع.

ومن خصائص أسلوب الكاتبة: دقة اختيار الألفاظ المعبرة عن المعاني، وحسن ترتيبها في السياق كما تراها في نفسها، وتنعكس على وجدانها: «من حيث إن الألفاظ إذ كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولًا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولًا في النطق»[(١)].

فالمقالة حافلة بالألفاظ المناسبة للمعنى والسياق، والتي ترغب لإحياء الأمل في النفوس، ودفع اليأس منها، كما في صيغ الأمر الذي تكرر في : «رتل يا طائري أسمى أغانيك ... رتّلْ – رتّلْ، عشْ بروحك العظيم، آنشدْ ربيعك من قلبي، وعش بأماني الربيع، اجعل أملك في الله عظيمًا، خلّ عنك، خلّ عنك الماضي، ارشفْ من منهل الأماني والمرح، خلّ عنك»[(٢)].

فصيغ الأمر تفيد النصح والإرشاد، وفيها تلطف بالحث على نفض غبار الأسى واليأس عن النفس، والتطلع للأمل المشرق في الغد، بالثقة في الله، وصدق اليقين به.

– برزت العاطفة الصادقة في رسم الكاتبة للصور الخيالية البديعة التي تجلو خطراتها النفسية إذ «العاطفة هي التي تنتقي ألوان الصورة، وهي التي تجعل (الأديب) ذا شخصية متميزة، تلمح فيها طابعه الخاص، ونظرته للحياة، وإحساسه بما يحيط به من مظاهرها، وما يخالجه من خواطر»[(٣)].

ومن تلك الصور: تصوير أثر الخلوّ الذي يبعث على التأمل والانطلاق مع خواطر النفس، بالغفوة التي تكون من النوم الخفيف، وقد سبحت الأديبة في عالم الأحلام وراحت تمتطي جواد الربيع، لتصعد في العالم الروحاني، وترتشف من خمرة الربيع وتسكر من سكرته، وخصت الجواد لأنه يمتاز بقوته وسرعة حركته، مما يناسب عالم الأحلام، وفائدة الصورة: تصوير أثر الربيع في نفس الأديبة وما يثيره فيها من خواطر رائعة تتحرر من جذب الأرض، لترقى بها إلى عالم الروح «وللخلو غفوة شبيهة بغفوة النائم امتطيت معها جواد الربيع وهو يجتاز بي محيط العالم الروحاني مأخوذة بسكرة الربيع ويالها من سكرة، رشفت خمرها بكأس فم الروح الرفيف وهو يحملني على

---

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، (ص٥٢)، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.

(٢) مجلة أبولو، المجلد الثاني، (ص١٠٦٣).

(٣) مهمة الشاعر في الحياة، سيد قطب، (ص٧٦)، منشورات دار الجمل، ط١، ١٩٩٦م، (بتصرف).

الصعود إلى ملكوت الخلود حيث يسكن الروح الأليف».

والصور قائمة على الاستعارة التي تفيد التجسيم للربيع بالجواد الذي يمتطى، والبساط الذي يحمل، والخمرة التي تسكر، وبساطه ببساط الريح الذي يحمل الكاتبة إلى حيث تبغي «وعلى بساط الربيع انبسط جسمي وقد استشعر قلبي بما وراء الربيع».

ومن تلك الصور قولها: «رتل يا طائر أسمى أغانيك على فنن قلبي» فتصور هيئة طيف الربيع وما يثيره في قلبها من الخواطر الشعرية، بهيئة الطائر الذي يشدو بأعذب الألحان، على سبيل الاستعارة التمثيلية، وفي «فنن قلبي» مجاز عقلي علاقته المكانية، إذ القلب موطن الخواطر النفسية، والانفعالات التي يجلوها الشعر، كما يجلو الطائر خواطره حين يشدو على الأغصان.

وفي تصوير الحياة بالأنشودة الطويلة التي أولها الأمل وآخرها القنوط، تشبيه يعكس حقيقة حال الناس في الدنيا من بسط الآمال العريضة، التي لا تلبث أن تنهار، فيحل اليأس محل الأمل في النفوس.

ومن الصور التي تجلي أفكار الأديبة الشخصية، وسمات شعرها الفنية، قولها: «صارعت جرثومة الأنانية حتى قتلتها» فقد صورت جهادها لنفسها، وتغلبها عليها بانتزاع حب النفس منها، بمصارعة الدواء للجرثومة القاتلة للجسم.

تقول الأديبة: «كنت لا أعرف الأنانية في الشعر، بل يسرني أن أوجه الأنظار والأحاسيس إلى الجمال والكمال والسحر والإيمان والحب والسمو في كل مظهر من مظاهر الطبيعة والإنسان، ومنذ تشبعت روحي بروحانية «مي» ثم طاغور وغاندي وإقبال وأنا أحاول أن أشبع كل روح من منهل روحانية هؤلاء، غير يائسة ولا ملول من تحويل ضعاف النفوس وعلاج مرضى الأرواح من الشعراء والأدباء»[١].

ومن تلك الصور قولها: «خل عنك الماضي بذكرياته فإن جرثومة الذكرى مؤلمة فتاكة»، فتصور أثر الذكريات المؤلمة وما تفعله في نفس الإنسان بالجرثومة الفتاكة للجسم، وفائدة الصورة القائمة على التشبيه: الحث على إحياء الأمل في النفوس، وعدم الاجترار للذكريات المؤلمة التي تفتك بنفس الإنسان وتسلبها الحياة والطمأنينة.

وهذه الصور المتلاحقة تدل على خيال الكاتبة الخصب الذي وصفه الدكتور أحمد زكي أبو شادي بقوله[٢]:

وأراك فاتنة العواطف بالخيال الساحرْ أنفاس شاعرة لها أنفاس وحي الشاعرْ

– برزت شخصية الكاتبة واضحة من خلال أفكارها وصورها التي تمزجها بإحساسها وصور

---

[١] الشعر والتجديد، د. محمد عبد المنعم خفاجي، (ص١٠٨، ١٠٩).

[٢] المرجع السابق، (ص١٠٦).

الطبيعة، في انفعال صادق مما يحقق الإمتاع والتأثير في القارئ، والإقناع بالفكرة عن طريق الصور الخيالية التي تثير انفعال القارئ، والعرض الشائق الذي يجذب المتلقي ويؤثر فيه بمخاطبة الوجدان بأرق بيان.

مع أن المقالة فن نثري تعتمد على إيراد الفكرة وتحليلها والتعليل لها، إلا أن هذه المقالة بأسلوبها الحافل بالصور والموسيقى والعاطفة، أشبه بالخاطرة الشعرية، أو ما يسمى بالنثر الشعري – أو بالمبالغة – بالشعر المنثور، فالأديبة هنا شاعرة لا ناثرة، وهذا ليس عيبًا، لأن الغرض وصف وجداني لمشاهد الطبيعة وانعكاساتها على نفس الأديبة، القوية العاطفة، الرائعة التصوير، الممتازة التعبير، البارعة المزج بين الحقيقة والخيال.

المبحث الثاني
المقالة الصحفية

امتلكت الأديبة جميلة العلايلي القدرة على الكتابة في المقال الأدبي والصحفي، وكانت لها فيهما سبق ومهارة في كتابة كل بما يوائمه، وإن تضاءلت الفروق بينهما تبعًا لاتحاد الشخصية والأسلوب، وقد تعددت ألوان المقالة الصحفية للأديبة، من المقالة الافتتاحية، التي تتميز بالجمع بين الأسلوب الأدبي، والأسلوب الفكري في عرض الفكرة وشرحها، والاستدلال عليها بالعقل والمنطق، كما سيأتي، وللأديبة ألوان أخرى من المقالات الصحفية، كالمقالة الاقتصادية، والمقالة السياسية.

أثر الصحف في تطور الفن المقالي:

ارتبط تطور الفن المقالي بظهور الصحف وانتشارها في العصر الحديث، ما بين صحف يومية، إلى مجلات أسبوعية وشهرية، ووصوله إلى أضخم عدد من الجماهير، ومعالجته لأحداث الساعة المتلاحقة، من المشكلات القائمة، والقضايا العارضة، حيث لم يصبح فنًا قائمًا بذاته، بل ارتبط بتيارات الحياة المتعددة، وساعدت على تطويع اللغة العربية في أسلوب لغوي جديد يجمع بين العربية والعامية، فيها فصاحة الأولى وجزالتها، وفيها سهولة الثانية وقربها من الأفهام، وأتاحت الصحافة لهذه اللغة المصرية الجديدة أن تنتشر لا في مصر وحدها، بل في العالم العربي جميعه، مما أدى إلى إنماء الأدب المصري.

استطاعت الصحف أن تنمي المادة الأدبية والحقائق التي تقوم عليها المقالة، وذلك بدراسة ونشر التراث العربي الخالد، وإحياء أثره في العقول والنفوس، ونشر مختلف أنواع المقالة من ذاتية وموضوعية.

للصحف دور كبير في جذب الأدباء وخلق جيل من الكتاب عنوا بفن المقالة، وجعلوها وسيلتهم في نقل أفكارهم ونشر آرائهم، بل وسطوع نجمهم على صفحاتها[(١)].

أولًا: المقالة الافتتاحية

هي المقالة الرئيسة في الصحيفة، ولها فن خاص بها من حيث الصياغة، وأساس هذا الفن هو الشرح والتفسير، والاعتماد على الحجج المنطقية حينًا، والعاطفية حينًا آخر للوصول إلى غاية واحدة فقط هي إقناع القارئ.

---

(١) يراجع: الأدب العربي المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف، (ص٢٠٠، ٢٠٢)، وعلى هامش الأدب والنقد، علي أدهم، (ص٢٠٤، ٢٠٥)، ونشأة النثر الحديث وتطوره، د. عمر الدسوقي، (ص١٠٢)، والأدب وفنونه دراسة ونقد، د. عز الدين إسماعيل، (ص١٦٢، ١٦٣)، وفن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص٧٧)، والأدب وفنونه، د. محمد عناني، (ص١٥٥)، وتطور الأدب الحديث في مصر، د. أحمد هيكل، (ص٧٠).

ويعتمد نجاح المقالة الافتتاحية إلى حد كبير على اختيار الموضوع، ويساعد الكاتب على ذلك أن يضع نفسه مكان القارئ ليحس بإحساسه ويشعر بحاجته النفسية[١].

يتضح مما سبق أن أهم خصائص المقال الافتتاحي هي الإقناع بضرب الأمثلة وإيراد الشواهد، وذلك يتطلب من الكاتب أن يكون «واسع الإطلاع قادرًا على ربط الماضي بالحاضر، متصلًا على الدوام بشتى الصحف التي تصدر في بلده، وفي خارج بلده، حتى يقف على أفكار هذه الصحف والدوريات كما يقف على أحدث الآراء في النقد»[٢].

والمقال الافتتاحي «ليس تعبيرًا عن رأي الكاتب وحده أو وجهة نظره الخاصة، كما هي العادة بالنسبة لفنون المقال الأخرى، بل إنه على العكس من ذلك ينبغي أن يكون تعبيرًا عن رأي الصحيفة وسياستها كمؤسسة اجتماعية عامة»[٣].

فالثقافة الواسعة هي التي تمد الكاتب بالأمثلة التي تبرز حصيلة اطلاعه من الأحداث الجارية في الحاضر، والأحداث التي جرت في الماضي، والتجارب الإنسانية التي اختزنها في ذاكرته، ولهذه الشواهد حيز كبير من المقال الافتتاحي، وهي مجال واسع يتبارى فيه كتاب الصحف، ويظهر فيه علمهم واطلاعهم، ووقوفهم على التاريخ العام والخاص، وبها يتمكن من ربط الماضي بالحاضر، والتكهن بالمستقبل، ويكتسب الكاتب عاطفة الإنصاف[٤].

ومن المقالات الافتتاحية للأديبة مقالتها في افتتاحية مجلة «الأهداف» السنة الأولى، العدد الأول، تقول فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم».

أهدافنا ....

«وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» أجل تحت تأثير إلهام علويّ، وبتوجيه إشعاع سماويّ اتجهنا بتفكيرنا ومشاعرنا نحو الهدف السامي الذي خلق من أجله الكون والإنسان ... ولم نهتد عن ارتجال، بل بعد أن تشعب تفكيرنا وطال تأملنا وبعد بصرنا وأرهف إحساسنا وظللنا نبحث وندرس ونجوب الآفاق ونضرب في الشعاب متخبطين في الوهاد متعثرين في الصعاب نحلّق آنًا ونهبط أحيانًا، يحبونا الأمل طورًا ويحاربنا اليأس طورًا، نسمو مع الأرواح العلوية ونعيش مضطرين مع أبناء المادية، كل ذلك، لنعرف، ما السبب؟ وما الغاية؟ وما الوسيلة لتحقيق أهدافنا المنشودة؟

إننا لم نخلق عبثًا، بل خلقنا لنؤدي رسالة الكل إلى الكل رسالة الحب والخير والأمن والعدل والرحمة والسلام لتدعيم الإيمان وتخليد شرائع السماء.

---

[١] المقالة الأدبية وعصر الاحترام، د. عبد العزيز شرف، (ص١٤٢)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

[٢] المرجع السابق، (ص١٤٣).

[٣] فن المقال الصحفي، د. عبد العزيز شرف، (ص٥٤)، دار المعارف.

[٤] المقالة الأدبية وعصر الاحترام، (ص١٤٣: ١٤٩).

وما كان الكتاب والمفكرون والمصلحون إلا رسلًا اختارهم الله ليحملوا مشاعل الرسل الأقدمين فعليهم أن يكونوا بالرسالة مؤمنين، وعلى أدائها قادرين وفي سبيل تحقيقها يبذلون ما لا يمكن أن يبذله أيّ إنسان يعيش لهدف سامٍ.

ولقد كنا من قبل قانعين بأن نكتب لنلهم ونلهم لنكتب ليقرأَنَا ويسمعنا من يفهم كنه أهدافنا، لكن أيكفي هذا لتأدية الرسالة على الوجه الأكمل ولاجتياز أكبر شوط في طريق الخير للإنسانية؟؟

لا نظن؟ إذ لا يمكن أن يقنع أصحاب المثل العليا وحملة المشاعل بأن يقرأ ويسمع لهم القليل من ملايين البشرية الذين يتخبطون في دياجير القلق والخوف والبغض والحقد والحرب والخصام؟؟

إن عمق تفكيرهم وسعة آمالهم تمتد بمشاعرهم وطموحهم إلى ما وراء الأبد إن كان وراءه بشر يسمعون ويقرءون!!

إن مهمة صاحب الرسالة مهمة نبي ورسول فعليه إذن أن يحافظ على كيان النبوة والرسالة وذلك برعاية الحق والخير والفضيلة والصدق والأمانة والعدالة، ساعده الناس أو لم يساعدوه، ابتسم له الأمل أو تجهم واضعًا على عينيه منظارًا مكبرًا ليقرب البعيد فيعرف الحق من الباطل ويستمع إلى أدق الأصوات وأضعفها ليدرك ما وراء النفوس من ظلم وألم وشكاية وحرمان.

فهل ترى يحقق أصحاب الرسالات في هذا البلد الأهداف التي خلقوا ويعملون من أجلها؟

ما زال الحق يضل طريقه وا أسفاه!! والعدالة تائهة في بيداء الرغبات، والضمائر نائمة على فراش الأهواء والنزعات؟؟

وما يلاقيه الفرد في بيئته المحدودة تلاقيه الجماعة وتلاقيه الأمة وتلاقيه الشعوب جميعًا، ذلك لأن الوعي الروحي الذي يحمي الفرد من إغراء شيطانه ويحمي الشعب من مكائد المستعمرين ليس له في الوجود مكان إلا بقدر، قد لا يستطاع معه صد التيار الجارف!!

لذلك رأينا من الخير أن يحدد كل إنسان هدفه ليسير على منهج مستقيم يرسمه لنفسه يتفق مع أنبل المقاصد وأسماها لكي تتحد أهداف الجماعة، وبذلك يقوى إحساس الشعب الروحي وينظم تفكيره القوي فيستطيع أن يكافح ويناضل ليبلغ هدفه المرموق، ولما كان لابد لنا أن نعيش لتحقيق أهداف الإنسانية بقدر ما تدخره أرواحنا من إيمان، ومشاعرنا من إخلاص لأنفسنا ولقومنا وشعوبنا، فقد أخذنا على عاتقنا بعون الله تعالى أن نمدّ يدنا لكل من ينشدنا المعونة، ونجعل من أهدافنا مرآة تعكس خواطر كل مصلح وكاتب ومفكر وموجه وناقد، محاربين الظلم والأثرة والحقد والتنابذ والحرب والرياء والنفاق، صارخين بأعلى صوت في أذن الضمائر النائمة التي تتحكم في الشعوب والأفراد في غير عدل وإنصاف ورحمة، محركين بأقلامنا القلوب الجامدة لينتبه كل غافل ويحس كل جامد ويدرك كل لاهٍ ويقرر الجميع أننا لم نعد غفلًا ولم نعد أهل لهو واعتماد علي الغير، بل إن التجارب والمحن التي مرت بوطننا وبالشعوب العربية حولت أبناءها الوادعين المطمئنين إلي أسود علي حماية أوطانهم قادرين . وإن كل معتد يحاول الاعتداء علينا بالقول والفعل جزاؤه الهوان

والخذلان بإذن الله تعالى.

وهاهي الأهداف .. منبر يعتلي عليه كل من يجيد النقد والإرشاد والتوجيه والإصلاح، لا فرق عندنا بين من يمشي راكبًا أو راجلًا، وغرضنا صريح نبيل هو إنقاذ الفكر الإنساني والوعي الروحي من عثرته، والدين السليم من مغريات الأباطيل.

وأهدافنا .. هي أهداف كل مصري وكل شرقي، وكل إنساني اتخذ شرائع السماء دينا يعمل بناموسها الأصيل ويسعى لتحقيق أهداف الخير والعدالة ونحن نقدر خطورة موقفنا ومدي الشوط المقدر علينا اجتيازه وما يبدو فيه من أشواك وصخور .. ولكننا توكلنا على الله وهو نعم الوكيل» [(١)].

التحليل الفني للمقالة:

في هذه المقالة تبدو خصائص المقالة الافتتاحية المتقدمة واضحة جلية، حيث تبدو قدرة الكاتبة على الإقناع بالرأي في ضرب الأمثلة، وطرح الأسئلة، والإجابة عليها بالأدلة المنطقية، والبراهين القوية مما سوف يتضح في عرض الموضوع.

١- **عنوان المقالة:** يتطابق مع الفكرة العامة، والأفكار التي بنت الكاتبة مقالتها عليها، إذ يتضمن إرساء الأسس والمبادئ العامة التي تنشدها الكاتبة من وراء إنشاء مجلتها: «الأهداف».

٢- **الفكرة الأساسية:** تدور حول بيان الأهداف السامية التي بنت الكاتبة فكرها الإصلاحي عليها وتتمثل في تحقيق الغايات الإسلامية النبيلة التي دعت إليها الأديان السماوية كافة، من الخير والأمن، والعدل والرحمة والسلام، ومحاربة الظلم والأثرة والحقد والحرب والنفاق.

٣- **المقدمة:**

بدأت الكاتبة مقالتها بمقدمة تتضمن الآية القرآنية في قوله تعالى: «وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» [(٢)]، لتؤكد على استلهامها النبع الصافي، وقناعتها الراسخة بعظمة أهداف الإسلام الصالحة للإنسانية في كل زمان ومكان، ولم يكن هذا التوجه ارتجالًا أو بدافع التعصب أو الحماس الفج، بل بعد أن طرقت الأديبة شتى السبل، وبعد التأمل العميق، وإطالة التفكير، والبحث والدراسة تصل الكاتبة إلى تقرير الغاية التي خُلق من أجلها الكون والإنسان، واضعة نصب أعين القارئ مسؤوليته الكاملة في تحقيق الغاية من وجوده لأننا «لم نخلق عبثًا، بل خلقنا لنؤدي رسالة الكل إلى الكل رسالة الحب والخير، والأمن والعدل والرحمة والسلام لتدعيم الإيمان وتخليد شرائع السماء» [(٣)].

فهذه المقدمة بما تضمنته من آيات قرآنية تلخص موضوع المقالة، وتشتمل على فكرتها العامة،

---

(١) مجلة الأهداف، العدد الأول، المقالة الافتتاحية، (ص١: ٣) لجميلة العلايلي.

(٢) سورة الأعراف جزء من الآية (٤٣). وقولها: «لم نخلق عبثًا»، تضمين لقوله تعالى: «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون» [سورة المؤمنون الآية ١١٥].

(٣) مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص٢).

وتدل على الثقافة الدينية التي تصدر عنها الكاتبة، في محاولة لإقناع القارئ بالفهم السديد لجوهر الإسلام، والتأصيل لغاياته السامية التي ترقى بالإنسانية، فـ«مجلة الأهداف» دعوة صريحة للاستضاءة بهدي الإسلام، والاعتزاز بقيمه السامية، مما يدل على شخصية الكاتبة الملتزمة التي تجعل الدين منطلقًا لتصحيح الحياة والناس.

٤- **الموضوع:** تناولت الكاتبة عرض أفكار موضوعها عرضًا منطقيًا مقدمة الأهم على المهم، بضرب الأمثلة المؤيدة بالبراهين العقلية، وقد بدأتها بإبراز دور الكتاب والمفكرين والمصلحين في إنارة العقول وتحريرها، وتصويرهم بالرسل الذين اختارهم الله لحمل مشاعل النور والهداية، «فعليهم أن يكونوا بالرسالة مؤمنين وعلى أدائها قادرين وفي سبيل تحقيقها يبذلون ما لا يمكن أن يبذله أي إنسان يعيش لهدف سامٍ»[(١)].

فهذه المهمة العظيمة الملقاة على عاتق الأدباء والمصلحين تتطلب تبليغ الرسالة للإنسانية كافة، لا فئة قليلة منهم، وتتطلب المحافظة «على كيان النبوة والرسالة، وذلك برعاية الحق والخير والفضيلة والصدق والأمانة والعدالة»[(٢)]، سواء لاقت تلك القيم قبولًا من الناس وتشجيعًا، أو رفضًا ومحاربة، لأن مهمة الرسول بيان الحق من الباطل.

وتطرح الكاتبة هذا السؤال: «فهل ترى يحقق أصحاب الرسالات في هذا البلد الأهداف التي خلقوا ويعملون من أجلها؟؟»[(٣)].

وتنحو الكاتبة نحو التحليل والتعليل للإقناع بفكرتها، فتجيب عن السؤال الذي طرحته بتخلي أصحاب الرسالات عن وظيفتهم تجاه أمتهم، فالحق ضائع، والعدالة تائهة، والضمائر نائمة تطوحها الأهواء والرغبات.

وهذه القضية التي أثارتها الكاتبة، قضية عامة يعاني الفرد والمجتمع والأمة أضرارها، ولم تقف الكاتبة عند حدّ الرصد للمشكلة بل شخصت الداء، وقدمت الدواء بضرورة إحياء الوعي الديني؛ لأنه هو الذي يحمي الفرد من إغواء شيطانه، ويحمي الجماعة من أضاليل المنافقين، ويحمي الشعب من مكائد المحتلين الغاصبين.

وضرورة إحياء الوازع النفسي بتربية الضمير وإيقاظه، فإصلاح الأمة يبدأ من إصلاح الفرد، وذلك يتطلب «أن يحدد كل إنسان هدفه ليسير على منهج مستقيم يرسمه لنفسه يتفق مع أنبل المقاصد وأسماها لكي تتحد أهداف الجماعة، وبذلك يقوى إحساس الشعب الروحي وينظم تفكيره القوي

---

(١) مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص٢).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

فيستطيع أن يكافح ويناضل ليبلغ هدفه المرموق»[١].

وما تقدمه الأديبة من حلول لإصلاح الأمة والفرد والمجتمع بإحياء الوعي الروحي، والضمير الذاتي، وتحديدِ كلِّ إنسانٍ هدفًا ساميًا يناضل من أجل تحقيقه، أفكار صحيحة نادى بها المصلحون من الأدباء، أمثال: الرافعي، والعقاد، والزيات، وغيرهم ولكل أسلوبه الخاص وإن اتفقت الغاية.

وتعاهد الأديبة القراء على أن تظل «الأهداف» مرآة صافية تعكس خواطر كل مصلح وكاتب ومفكر وناقد، وأن تحارب الظلم والأثرة والحقد والتنابذ، وأن تكون منبرًا حرًّا يخدم أهداف الإنسانية، ويلاحق الضمائر النائمة التي تتحكم في الشعوب والأفراد في غير عدل وإنصاف ورحمة، ويحرك القلوب القاسية لينتبه كل غافل، وقد أكدت هذه الفكرة بتكرارها في خاتمة المقالة.

وتقرر الأديبة أن المحن التي مرت بالأمة العربية قد صَقَلَتْ أبناءها بالتجارب، وحولتهم إلى أسود قادرين على حماية أوطانهم، وردّ كيد المعتدين، وهذا يدل على حرص الأديبة على قضايا الأمة، وبثها روح الأمل والكفاح في نفوس أبنائها، وإثارة عواطفها للتحرر من الظلم والاستعباد، وهذا التوجه نحو قضايا الأمة يبرز الحس التاريخي للأديبة في ربطها بين أحداث الحاضر والماضي، والتشوف للمستقبل.

الخاتمة: «وهي ثمرة المقالة وعندها يكون السكوت، فلابد أن تكون نتيجة طبيعية للمقدمة والعَرْض، واضحة صريحة، ملخصة للعناصر الرئيسية المراد إثباتها، حازمة تدل على اقتناع ويقين، لا تحتاج إلى شيء آخر لم يرد في المقالة»[٢].

والخاتمة في المقالة: موجزة تضم شتات الفكرة، وتلخص النتيجة التي استهدفتها الكاتبة، فالغاية من إنشاء مجلة «الأهداف» هي: أن تكون منبرًا يصدع بالحق والإصلاح، مفتوحًا لكل من يجيد النقد والتوجيه، والغرض الأساسي منها هو: إنقاذ الفكر الإنساني والوعي الروحي من عثرته والدين السليم من مغريات الأباطيل، وأهداف الأديبة تتفق وأهداف كل مصري، وكل شرقي، وكل إنسان اتخذ شرائع السماء دينًا، وقد وفت الأديبة بعهدها، وأصبحت «الأهداف» دوحة تجمع نخبة ممتازة من أعلام الفكر والأدب في مصر والأقطار العربية، معالجين كافة القضايا بلغة تجمع عطاء الفكر والوجدان معًا، وأسلوب قوي هادف.

<u>خصائص أسلوب الكاتبة:</u>

١- **براعة الاستهلال:** حيث إن «لاستهلال المقالة أهمية خاصة في نظر الكاتب والقارئ، إذ إن القارئ – وهو المقصود في كل عمل أدبي – لن يقبل على قراءتها بلذة ونهم إلا إذا طالعته بادئ

---

[١] المرجع السابق، (ص٣).

[٢] فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص١٣١).

ذي بدء بصورة جذابة مشوقة، مجلوة بأسلوب طبيعي سلس، هو أسلوب المسامرة والحديث العادي، وبفكرة طريفة متألقة، تسترعي عنايته وتجتذبه إليها بقوة وإغراء»[١].

وقد أجادت الكاتبة في بدء مقالتها بآية قرآنية تؤكد فيها على اتفاق أهداف مجلتها مع الغاية التي خلق الله الكون والإنسان من أجلها، وتستدعي انتباه القارئ إلى استلهام غايات الإسلام، فمهما تشعبت السبل، وتعددت الأهواء لن يكون حصنًا للإنسانية سوى رسالة السماء، التي تدعو الإنسان إلى العمل، وتحقيق الغاية من وجوده بانتظار يوم الحساب لأنا «لم نخلق عبثًا، بل خلقنا لنؤدي رسالة الكل إلى الكل رسالة الحب والخير، والأمن والعدل والرحمة والسلام لتدعيم الإيمان وتخليد شرائع السماء»[٢].

٢- **الإمتاع الفني:** وهو الغاية الأساسية للفن المقالي، وتحقق ذلك بالعرض الشائق الذي يجذب المتلقي بأسلوب الحوار والمناقشة، والتركيز على الفكرة الرئيسة، واختيار اللفظ الملائم الذي لا يبعد عن الهدف، «فالوحدة والتماسك والتدرج في الانتقال من خاطرة إلى خاطرة أخرى من الخواطر التي تتجمع حول موضوع المقال، من ألزم ما يلزم في أدب المقالة»[٣].

٣- يقوم أسلوب الكاتبة على اختيار الألفاظ الجزلة التي تبني منها جملها في بناء نحس فيه العناية والإحكام، حيث استخدمت اللغة الفصحى التي تتناسب مع روح العصر، وتدل دلالة واضحة على المعنى المقصود.

وظهرت الثقافة الإسلامية، والعاطفة الدينية للأديبة في الاقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى: «وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» [الأعراف:٤٣]، مما يزيد الكلام قوة وبلاغة، لأن مبنى الاقتباس على الالتئام والتلاحم.

وللأديبة قدرة فائقة على اختيار الألفاظ الملائمة للمعاني في دقة ووضوح فقد كثر استخدام الفعل المضارع الذي يدل على التجدد والحدوث كما في: «يحمي، يجدد، يرسمه، يتفق، يقوي، ينظم، يكافح، يناضل، تعيش، تدخره، نمدّ، ينشدنا، يحس، يدرك، يقرر، يحاول ...» لأن الكاتبة ترسم أهدافًا تأمل تحقيقها في الحاضر والمستقبل، وتحث أبناء الأمة كافة لترسمها، ولهذا ظهرت عاطفة الكاتبة قوية صادقة، تحمل إلى جانب الفكر عطاء العقل والوجدان معًا، وتدل أن الأديبة وفيّة لوطنها، بارة بأمتها، فقضايا الإصلاح في مقدمة أهدافها، فلم تنتم الكاتبة لحزب معين، تصدر مجلتها بأهدافه كما هو الحال في المقالات الافتتاحية التي تؤيد مبادئ أحزابها، بل تناولت الموقف السياسي، وما يعرض فيه من الأحوال والتقلبات والإصلاح الاجتماعي بوجه عام، ومحاولة إيجاد

---

[١] فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، (ص١٢٦).

[٢] مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص٢).

[٣] على هامش الأدب والنقد، علي أدهم، (ص٢٠٤)، دار المعارف.

وعي قومي يسمو بأهداف الأمة نحو التحرر من الظلم، كما توحي به صيغة اسم الفاعل في: «محاربين الظلم والأثرة، صارخين بأعلى صوت في أذن الضمائر النائمة، محركين بأقلامنا القلوب الجامدة».

٤- يمتاز الأسلوب بالإطناب حيث كثر الترادف بين الألفاظ، كما في قولها: (إلهام علوي، إشعاع سماوي)، (طال تأملنا، بعد بصرنا)، (نبحث وندرس)، (نجوب الآفاق، نضرب في الشعاب)، (يكافح ويناضل)، (ويحس، ويدرك)، (الوادعين، المطمئنين)، (عدل وإنصاف)، (مصلح، وموجه)، وفي ذلك عناية بالجانب العاطفي، لإثارة انفعال القارئ وشعوره عن طريق الترادف لأن زيادة المبنى زيادة المعنى والتأكيد له.

كما كثر الإطناب في المعاني بالتكرار للفكرة لتأكيدها، فالتكرار لا يحمل القارئ على الملل والسآمة، بل يجذب انتباه القارئ ويدل على تركز تلك الفكرة في بؤرة شعور الأديبة، ومدى اهتمامها بها، وإرادة تثبيتها في ذهن القارئ «فالتكرار في حقيقة إلحاح على جهة هامة في العبارة، يعني بها (الأديب) أكثر من عنايته بسواها، وهو يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمامه بها، وهو بهذا ذو دلالة نفسية قيمة»[(١)].

وبرز التكرار للفكرة في قول الأديبة: «وما كان الكتاب والمفكرون والمصلحون إلا رسلًا اختارهم الله ليحملوا مشاعل الرسل الأقدمين».

وتكرر هذه الفكرة بقولها: «إن مهمة صاحب الرسالة مهمة نبي ورسول فعليه إذن أن يحافظ على كيان النبوة»[(٢)]، وهذا التكرار لإبراز الدور العظيم للأدباء والكتاب والمفكرين في مجتمعهم، والتأكيد على عظم المسئولية الملقاة على عاتقهم تجاه أمتهم في التوجيه والإصلاح.

٥- جاء الإقناع في الأسلوب عن طريق العقل والفكر والشعور معًا، باعتماد أسلوب الموضوعية الذي يُغلّب جانب العقل مع جانب الخيال المحلق، فقد اعتمدت أسلوب الجدل والمناقشة والحوار، والتأثير بوسائل البيان والصور الحية في عرض الحقائق مما يثير في المتلقي المشاعر والأحاسيس، كما في قولها: «فهل ترى يحقق أصحاب الرسالات في هذا البلد الأهداف التي خلقوا ويعملون من أجلها؟ ما زال الحق يضل طريقه وا أسفاه!! والعدالة تائهة في بيداء الرغبات، والضمائر نائمة على فراش الأهواء والنزعات؟؟»[(٣)].

فالاستفهام الذي تناقش الأديبة القضية من خلاله معناه الأصلي: طلب الفهم من المخاطب وإثارته وتحريك ذهنه لقبول ما يتضمنه، والإجابة التي قدمتها الكاتبة جاءت من خلال الصور الاستعارية

---

(١) قضايا النقد المعاصر، نازك الملائكة، (ص٢٤٢)، ط١، مكتبة النهضة بغداد، ١٩٦٢م.

(٢) مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص٢).

(٣) المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

التي تدل على معاناة أبناء الأمة من الظلم والظالمين، فالحق ضائع كإنسان يضل طريقه، والعدالة غائبة كإنسان تائه في غمار الشهوات، والضمائر غافلة كإنسان نائم في مرتع الأهواء والرغبات، وقد شخصت الكاتبة تلك الحقائق من خلال الاستعارة المكنية التي تشخص المعنويات في صور محسوسة فتكسبها القوة والوضوح، فقد أفادت تلك الصور حيرة الأديبة وقلقها على مستقبل أمتها، والمعايشة لقضاياها، وإحساسها المرهف بما يدور في مجتمعها، ومع هذا الإدراك الواعي لدقائق المواقف، فإن الكاتبة حريصة على تغيير ما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون بالنقد والتوجيه، في صور تمتلئ بالحركة والحيوية والإثارة لشعور المتلقي بأحداث الواقع الراهن، بنفس إثارة شعور الأديبة ووجدانها وحماستها، ومن هنا برزت شخصية الكاتبة قوية في المقالة، تعكس وجهة نظرها فيما تعرضه من أفكار وقضايا بالأسلوب المؤثر، لا بالوعظ والإرشاد، وإنما «بطريق الفن الذي مهمته أن يخلق ويبدع وليس من مهمته وأساليبه أن يعظ الناس كيف ينبغي أن يسلكوا»[١].

ولا شك أن التعبير عن وجهة النظر الشخصية في المقالة مما يميزها عن سائر ضروب الكتابة النثرية[٢].

٦- برز الإيقاع المتناغم الناشئ عن المؤاخاة بين الألفاظ، واستخدام بعض المحسنات البديعية التي ترد عفو الخاطر كالازدواج، والسجع، والطباق، والمقابلة والتي تضفي على التعبير روعة وجمالًا، وتظهر مقدرة الأديبة الفنية في استخدام مدلولات اللغة في قالب فني موحي.

فالمؤاخاة بين الألفاظ وهي: « المناسبة بينها من طريق الصّيغة»[٣]. كما في قول الكاتبة: «تحت تأثير إلهام علويّ، وبتوجيه إشعاعٍ سماويّ، وظللنا نبحث وندرس، ونجوب الآفاق، ونضرب في الشعاب»، فناسبت بين: (تأثير، وتوجيه)، (وإلهام، وإشعاع)، (وعلويّ وسماويّ)، (ونبحث وندرس)، (والآفاق والشعاب).

والازدواج هو: أسلوب عربي أصيل، حفل به القرآن الكريم، وعرفه النثر العربي في عصور ازدهاره، وهو: «أن يراعى الوزن في جميع كلمات القرينتين (الجملتين) أو في أكثرها، وهو أحسنها وأعلاها كقوله تعالى: «وآتيناهما الكتاب المستبين * وهديناهما الصراط المستقيم» [الصافات:١١٧، ١١٨][٤]، كما في قول الأديبة: «ونجوب الآفاق، ونضرب في الشعاب، متخبطين في الوهاد، متعثرين في الصعاب، نحلّق آنًا، ونهبط أحيانًا، يحبونا الأمل طورًا، ويحاربنا اليأس طورًا، نسمو

---

[١] في فلسفة النقد، د. زكي نجيب محمود، (ص٢٢٦)، ط١، ١٩٧١م، الشروق.

[٢] على هامش الأدب والنقد، علي أدهم، (ص٢٠٢).

[٣] أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي، (ص٤٨١)، دار نهضة مصر.

[٤] أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية، (ص١٤٣)، د. بدوي طبانة، ط٢، ١٩٦٠م.

مع الأرواح العلوية، ونعيش مضطرين مع أبناء المادية»[١].

والسجع وهو: تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد ظاهر في الفقرة بين: «الشعاب والصعاب، آنًا وأحيانًا، طورًا وطورا، العلوية والمادية»، وواضح في الفقرة الأولى بين: علويّ، وسماوي، بتفكيرنا، ومشاعرنا، تأملنا، بصرنا، إحساسنا». وللسجع فائدة كبيرة لما يحدثه من النغمة المؤثرة، والموسيقى القوية التي تطرب لها الأذن، وتهش لها النفس، ولأن المعنى هو الذي تطلبه ولم يكن مستكرهًا.

والطباق وهو: «الجمع بين الشيء وضده»[٢]، وهو لون بديعي يكسب الأسلوب حللًا أنيقة بديعة تجذب انتباه السامع وتؤثر فيه، وجمال الطباق نابع من جمع المتضادات في نسق مؤتلف يثير الانتباه إلى الفكرة فيشتد تقبل الذهن لها كما في: «الآفاق والشعاب»، «الوهاد والصعاب»، «نحلق ونهبط»، «الحق والباطل»، «الأمل واليأس»، «يقرب البعيد»، «يقرأنا ويسمعنا»، وقديما قالوا: «وبضدها تتميز الأشياء»، وقد أفاد الطباق بيان مدى المعاناة، وطول المدة والمراحل التي ظلت فيها الأديبة تبحث عن مورد للأهداف السامية، والعمل على تحقيقها ونشرها.

المقابلة وهي: أن «يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب»[٣]. وردت في قول الأديبة: «ونجوب الآفاق ونضرب في الشعاب، نحلق آنًا، ونهبط أحيانًا، يحبونا الأمل طورًا، ويحاربنا اليأس طورًا، نسمو مع الأرواح العلوية، ونعيش مضطرين مع أبناء المادية». فالتقابل بين الجمل والعبارات يفيد حرص الأديبة على استلهام ونشدان الغايات السامية آمادًا طويلة، ومحاولات شتى.

٧- وجاءت الصورة متعانقة مع الموقف النفسي للأديبة، والمعنى الذي تصوره، حيث صورت التطلع للمثل العليا، والطموح الإنساني المتوثب بالطائر الذي يجوب الفضاء ويحلّق في العلياء، وصورت ما يعتري هذا الطموح من وهن وضعف عزيمة بالطائر الذي يهبط من الأعالي «نجوب الآفاق – نحلق ، نهبط»، والأسلوب قائم على الصور الاستعارية التي أفادت التجسيم للمعنويات في صور محسوسة للتوضيح والتأكيد على عظم الغاية، والجهد المبذول في تحقيقها، وتتابع الصور وتتلاحق لتدل على وضوح المعنى في عقل الأديبة، وصدق إحساسها، فتشخص الأمل بإنسان يدني ويقرب وينعم، وتصور اليأس بإنسان يحارب ويمنع الغايات وذيلت كل صورة بما يناسبها فالأمل الذي يقرب من الأماني البعيدة يسمو بالروح مع الملائك العلوية، واليأس الذي يمنع ويحارب يسف وينزل بالإنسان مع أبناء الدنيا المادية.

---

[١] مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص١).

[٢] الصناعتين لأبي هلال العسكري، (ص٣٣٩).

[٣] الألوان البديعية، د. حمزة الدمرداش، (ص٥٨).

والصورة الكلية المبتكرة الطريفة اعتمدت فيها الكاتبة على التجسيم والتشخيص، وتفيض بالحركة، وتدل على خيال الأديبة الخصب المترابط الذي يدرك العلاقات البعيدة بين الأشياء ويؤلف بينها، مما يعكس قوة العاطفة إذ «قوة الخيال مرتبطة بقوة العاطفة، فإذا كانت صادقة قوية خلقت خيالًا رائعًا، لأنه المعبر عن العاطفة واللغة الطبيعية لأداء الانفعالات والعواطف الإنسانية»[١].

وبرز التشبيه كصورة بيانية توضح المعاني وذلك في تصوير الكاتبة لمجلة «الأهداف» بالمرآة الصافية التي تعكس خواطر كل مصلح: «ونجعل من أهدافنا مرآة تعكس خواطر كل مصلح وكاتب ومفكر وموجه وناقد»، وتصويرها بسيف الحق والعدالة الذي يحارب الظلم: «محاربين الظلم والأثرة والحقد والتنابذ والحرب والرياء»، وتصويرها بناقوس الإنذار الذي يدق ليقلق آذان الضمائر النائمة «صارخين بأعلى صوت في أذن الضمائر النائمة التي تتحكم في الشعوب والأفراد في غير عدل وإنصاف ورحمة»، وتصورها بالقوة المحركة للقلوب الجامدة: «محركين بأقلامنا القلوب الجامدة لينتبه كل غافل، ويحس كل جامد ويدرك كل لاهٍ ويقرر الجميع أننا لم نعد غفلًا»، وفي تصوير أبناء الأمة الوادعين بعد أن خبرتهم التجارب بالأسود القادرين على حماية أوطانهم.

وأيضًا في تصوير مجلة الأهداف بالمنبر الذي «يعتلي عليه كل من يجيد النقد والإرشاد والتوجيه والإصلاح».

وهذه الصور التشبيهية تحمل عاطفة الكاتبة الجياشة وليست مجرد صور حسية بمعزل عن العاطفة، بل كما يقول العقاد: «ولكن التشبيه أن تطبع في وجدان سامعك وفكره صورة واضحة مما انطبع في ذات نفسك ... وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه واتساع مداه ونفاذه إلى صميم الأشياء يمتاز الشاعر على سواه»[٢].

وتبرز قوة الإرادة في التغيير برسم الصور المتعددة لمشبه واحد، وحذف أداة التشبيه، لإفادة أن المشبه هو عين المشبه به، واستخدام الضمير الجمعي في صيغة المضارع، «ونجعل من أهدافنا» فضلًا عن صيغة اسم الفاعل التي توحي بقوة الإرادة على الفعل والتصميم في: «صارخين، محاربين، محركين، قادرين»، وبذلك تعاونت الصور والألفاظ في نقل شعور الكاتبة، وقوة عاطفتها، وأفكارها للمتلقي؛ لأن «الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان»[٣].

ولم يكن هدف الكاتبة من مجلتها مجرد الإعلام أو الخبر، بل بناء القيم الإنسانية في المجتمع.

---

[١] دراسات في تاريخ الأدب العربي في أزهى عصوره، د. عبد الرحمن عثمان، د. محمد عبد المنعم خفاجي (ص١٢٤)، مطبعة المدني القاهرة.

[٢] الديوان في الأدب والنقد، عباس محمود العقاد، إبراهيم عبد القادر المازني، (ص٤٥، ٤٦)، الروائع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

[٣] البيان والتبيين للجاحظ، ج١، (ص٨٣، ٨٤).

ثانيًا: المقالة الاقتصادية

من المقالات الصحفية التي تدل على عناية أديبتنا بمجتمعها، ومعالجة قضاياه، وتصوير واقعه، والكشف عن تطلعاته بهدف تثقيف المجتمع بكل طوائفه، وتزويده بالأخبار وتفسير الأحداث بلغة الحياة المألوفة لديه مقالة بعنوان: «**المشكلة الاقتصادية**» تقول فيها[1]:

«استعمار إيطالي بحري – آلاف من المصريين يجوعون ليشبع الطليان.

نكبة أهل السويس والسواحل المصرية الأخرى.

مصر والحمد لله تتمتع بنعمة السمك إذ الماء يحيط بها ففي شمالها البحر الأبيض، وعن يمينها قناة السويس والبحر الأحمر، وفي أطرافها المختلفة عدد من البحيرات العظيمة والنيل وفروعه الغامرة تنتشر في كل مكان.

فمن الطبيعي ألا تؤزم في السمك منذ أجرى الله في أرضها الماء، وقد أغنت وفرة السمك عن اللحوم مدة الحرب واستطاعت السويس وحدها أن تطعم بالأسماك مئات الألوف من جنود الحلفاء وتطعم معهم ملايين المصريين، وذلك بمجهود الصيادين المصريين الذي يصيدون بالسفن الشراعية، ولما انتهت الحرب، ورحل الجنود وأبيح اللحم طول الأسبوع إلا يومًا واحد، فكان الواجب أن يتكاثر السمك وترخص أسعاره.

لكنا نرى عكس ذلك، فالسمك ذو الحجم الكبير والنوع الجيد قد اختفى أو كاد، والأثمان ارتفعت ارتفاعًا فاحشًا، وفي ذلك هدم لقانون العرض والطلب والسر في ذلك:

بعد انتهاء الحرب، بدأت المياه المصرية تزدحم بعدد من بواخر الصيد الطليانية التي كانت تصيد قبل الحرب، ولهذه البواخر قصة يرويها الأستاذ عباس عصفور الخبير المهندس: «بلغ عدد مراكب الموتور الإيطالية واليونانية التي كانت تغير على المياه المصرية في عهد الامتيازات الأجنبية أربعة وثلاثين، وقد ضجّ منها الصيادون مع قلة عددهم في ذلك الوقت لأنها تشتغل بشباك الجرذات الكيس، التي لا تبقي على شيء من صغار الأسماك ولا تذر بل تقضي عليها القضاء المبرم دون الانتفاع بها؛ لأن الكيس في حالة الجر بقوة الموتور تسد عيونه بقوة الشدّ، فلا يفلت من هذه العيون شيء، ويساعد على ذلك الطين والحشائش التي تكتسحها الشباك داخل الكيس فتصبح جوانبه كجدار من البناء لا ينفذ منه أي شيء، ويقضي على هذه الأسماك الصغيرة من قوة الضغط في حالة رفع الكيس، مهما كان داخله من هذه المواد ويصيب العطب بعض الأسماك الكبيرة التي تقوى على احتمال عملية العصر الشديدة، فلا ينتفع بها أيضًا وتكون هذه البواخر من العوامل المبيدة حقًا والتي يجب منعها – إن لم يكن في المياه المصرية عامة، فعلى الأقل من خليج السويس الذي هو القصبة الهوائية التي يتنفس منها البحر الأحمر في البحيرات المرة وبحيرة

---

[1] مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص٢٦: ٢٨).

التمساح حيث تأخذ الأسماك الصغيرة راحتها ونموها».

وقد أخذ المسؤلون الرسميون في الحكومة المصرية بوجهة النظر هذه، ونقصوا من عدد هذه البواخر المبيدة حتى وصل في سنة ١٩٣٦م إلى ١٢ مركبًا وعاد الصيادون فسمعوا في سنة ١٩٤٦م أن في النية السماح لهذه البواخر بالعودة إلى العمل في المياه المصرية فاحتجوا فلم يأبه لهم أحد، وبدأت الغزوة الطليانية تفتك بمحصول السمك وتعطل عمل الصيادين الشراعيين، وتسرع في إبادة السمك الكبير وإهلاك ذراري السمك، وفي هذا كتب سعادة الأستاذ محمد حامد جودة بك رئيس مجلس النواب مقالات طوالًا في جريدة الأساس وصف فيها «شباك البحر الطليانية» بأنها تكنس القاع بما فيه من الأسماك كنسًا.

ولما زار مندوبنا الأستاذ محمد مصطفى حمام السويس منذ أسابيع هو وبعض الصحفيين شاهد تجربة الصيد بشباك الجرّ على صورة مصغرة فرأوا مبلغ الأذى الذي يقع على الأسماك، وعلى الصيادين المصريين تبعًا لهذا.

ولقد وقفوا على ما يكابده هؤلاء الصيادون هم وعائلاتهم من العطل والفقر والجوع، وهم ألوف مؤلفة، وعرفوا أن هذه الأجسام قد أنهكها ضعف الغذاء حتى تعرضت للأنيميا وللسل والعياذ بالله.

والخطر الذي يهدد الثروة المصرية هو أن أولئك الطليان الذين يشبعون من مائنا ويجيعون أهلنا وإخوتنا، يستعينون على هذا الظلم ببعض المصريين فيأخذون الرخص بأسمائهم، وهنا يقول موظفو مصلحة مصايد الأسماك أن المراكب مصرية مع أنهم يعلمون أنها أجنبية ولكنها تختفي وراء أسماء مصرية تحمل «الرخصة» وهذا تضليل واضح؛ لأن المعروف أن رؤوس الأموال، والمهندسين وأكثر الأيدي العاملة، وجلّ الدخل، كل أولئك طلياني بحت ولا شيء فيه من المصرية إلا الأجور التي تعطى لأصحاب الرخص والعدد القليل الذي تدعو الحاجة إلى استخدامه من العمال المصريين.

هذه مأساة وطنية اقتصادية خطيرة لا تقل عن مأساة مئات الألوف من اللاجئين العرب، ولنا إلى الموضوع عودة بل عودات».

التحليل الفني للمقالة:

نوع المقالة:

تنتمي المقالة إلى المقال الصحفي الذي يعالج المشكلة الاقتصادية لما يمتاز به من وصف واقعي ورجوع إلى مصادر الأنباء، وأسلوب صحفي اجتماعي بسيط لأنه يخاطب عددًا ضخمًا من القراء، مختلفي المشارب والأذواق، ومتفاوتي القدرة على الفهم والتقدير، فضلًا عن تنوع أساليب التحرير في المقال بذكر آراء المتخصصين في تلك القضية فالمقالة استجابة لتأملات عميقة وعريضة من الكاتبة تستثمر ما لديها من خبرات فنية، وما لها من معارف ثقافية، حيث تصدر فيها الكاتبة تنبيهًا لخطر متوقع، وتنديدًا بسياسة الاستعمار أثناء وجوده، وبعد رحيله عن البلدان العربية.

عنوان المقالة: العنوان الذي اختارته الكاتبة يلخص الموضوع ويدل على براعة الكاتبة في التعبير عن المضمون الإيحائي القوي «فاختيار العنوان نصف الموضوع، لأن الكاتب لا يسمي موضوعه إلا إذا تولد في ذهنه، وتحقق في خياله، وتشخص في نفسه»[1].

الفكرة العامة للمقالة: تصور المقالة مأساة الضغط الاستعماري الاقتصادي التي يمارسها إحدى دول الحلفاء باستغلال الثروة السمكية المصرية، وازدحام المياه المصرية ببواخر الصيد الإيطالية، حتى بعد انتهاء الحرب، واحتكار اقتصاد البلاد وحرمان أصحابها من خيراتها بمساعدة بعض المصريين للمحتلين.

مقدمة الموضوع: المقدمة مشوقة تتسم بالطرافة والحيوية لاجتذاب القارئ والتأثير فيه، وتلخص موضوعه، وتتمثل في وصف الطبيعة المائية الوفيرة التي حبا الله بها أهل مصر، مما يكفل لهم ثروة سمكية غزيرة، ولكن ما يحدث هو عكس ذلك، وهو حرمان أهل مصر من خير مائها، حيث يجوع أهلها، ويشبع الطليان باحتلالهم للمياه المصرية.

وكل ما جاء بعد ذلك في المقالة هو تحليل وشرح للفكرة، استعانت فيه الكاتبة بآراء المتخصصين، والكاتبين في هذه القضية، لتقديم وصفٍ واقعي لتلك المشكلة الاقتصادية القائمة.

عرض الموضوع: قارنت الكاتبة بين حال أهل مصر في أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م)، من وفرة الأسماك التي أشبعت آلاف المصريين وجنود الحلفاء، وبعد انتهاء الحرب ورحيل جنود الحلفاء، حيث ارتفع ثمن الأسماك واختفى أجودها، والسبب في ذلك: ازدحام المياه المصرية بالبواخر الإيطالية التي تكنس قاع البحار بما فيه كنسًا، بشباكها ذات الجر بالكيس التي تقضي على الأسماك الصغيرة والكبيرة، وتورد الكاتبة أقوال المتخصصين لشرح تلك العملية التي تصور عملية عصر شديدة للأسماك في ظل زيادة عدد البواخر في عهد الامتيازات الأجنبية حيث وصل إلى أربعة وثلاثين مركبًا تمثل احتلالًا بحريًا للمياه المصرية، ليشبع الطليان ويجوع أصحاب المياه.

---

[1] المقال الاجتماعي عند أحمد حسن الزيات، د. أحمد عبد الغفار عيد، (ص٢٢٦).

واستجابة المسؤلين في الحكومة المصرية لإنقاص عدد البواخر ليصل إلى ١٢ مركبًا في سنة ١٩٣٦م بعد أخذهم بوجهة النظر السابقة التي قدمها المتخصصون.

ثم تراجع الحكومة المصرية عن موقفها السابق بالسماح للبواخر الإيطالية بالعودة إلى العمل في المياه المصرية في سنة ١٩٤٦م، واحتجاج الصيادين لذلك الموقف فلم يؤبه لهم.

خاتمة المقالة: تختم الكاتبة مقالتها بنتيجة هذا الموقف المناهض لأبناء البلد من معاناة الصيادين المصريين العطل والجوع، والفقر والمرض، بازدياد عدد المراكب الإيطالية التي تكنس القاع كنسًا، وبمساعدة بعض المصريين للمحتلين باستخراج رخص لهم بأسماء مصرية ظلمًا وعدوانًا، رغم أن كل شيء إيطالي من رؤوس المال إلى المهندسين إلى الأيدي العاملة، باستثناء أصحاب الرّخص الذين ارتضوا بيع دينهم وضميرهم بمعاونة المحتل بأثمان زهيدة بخسة.

فالخاتمة تؤكد فيها الكاتبة على تلك المأساة الوطنية الخطيرة، وتعد القارئ بالوقوف عليها مرات لاحقة لحل تلك المشكلة.

أسلوب المقالة: تتميز المقالة بأسلوبها السلس العبارة، الخالي من السجع والصنعة اللفظية، الواضح الفكرة، القريب المأخذ، الخالي من المبالغة في العناية باللفظ، لإفادة أكبر عدد من الجماهير مع اختلاف ثقافاتهم، وإدراكاتهم العقلية، وقدراتهم المعرفية.

إذ الصحفي ينظر إلى الأحداث والوقائع نظرة غيرية لا ذاتية، بأن يضع نفسه مكان القارئ ليحس بإحساسه ويشعر بحاجته النفسية، وذلك لأن نظرة الصحفي إلى الأشياء قائمة على المنفعة التي تعود على المجتمع، وتعبيره عنها لا يشترط فيه جمال الأدب الخالص، ولا دقة العلم الخالص، لأنه إنما يعبر بلغة الحياة اليومية بكل ما في هذه اللغة من ألفة وبساطة ووضوح وحيوية.

وقد أدرك أدباؤنا أهمية التبسيط فيما يكتبون، وأدركوا ضرورة إثارة شغف القارئ، فالمهمة الأساسية للكاتب هي أن يكون أداة توصيل جيدة ممتعة بين القارئ والفكرة[(١)].

اتسم الأسلوب بالإطناب في عرض الفكرة والتعليل لها لإقناع القارئ، بإيراد أقوال المختصين، والتمهيد للفكرة، ثم تتبعها بالشرح والتوضيح بذكر الشواهد والأدلة المستمدة من واقع المشكلة التي تعالجها الكاتبة، من ذلك: ذكر رأي الأستاذ عباس عصفور الخبير الهندسي، في بواخر الصيد الإيطالية التي تعمل بشباك الجر ذات الكيس بقوة الموتور، ورأي الأستاذ محمد حامد جودة بك رئيس مجلس النواب، في تلك «الشباك الطليانية بأنها تكنس القاع بما فيه من الأسماك كنسًا»، ومشاهدة الأستاذ محمد مصطفى لتجربة الصيد تلك ومبلغ الأذى والضرر على الأسماك والصيادين المصرين.

ومن هنا اتسمت الأفكار بالترابط، والوضوح والعرض المنطقي المتماسك، وبدت عاطفة الكاتبة قوية

---

(١) يراجع المقالة الأدبية وعصر الاحترام، (ص٣٩، ١٤٢)، مستقبل الصحافة في مصر، د. عبد اللطيف حمزة، ج١، (ص٢٠)، دار الفكر العربي، ١٩٦١م.

تثير انفعال القارئ لما يحدث في وطنها من احتلال واستغلال للثروات، لينعم بها الغرباء، ويحرم من خيرها أصحاب البلاد، مما يدل على مزج الكاتبة بين المقال الذاتي والموضوعي، وبدت شخصية الكاتبة قوية بآرائها المستمدة من خبرتها الشخصية، ومعارفها الثقافية، ودقة ملاحظتها للأحداث الجارية في محيط وطنها، والكشف عن سياسة المستعمر في احتكار خيرات الوطن، وتفريق أهله شيعًا يتربص بعضهم بعضًا، بإمداد يد العون للمحتل؛ ظلمًا لإخوانهم.

قدمت الكاتبة وصفًا دقيقًا لمشكلة اقتصادية عانى من آثارها طبقة الصيادين في المجتمع المصري التي حاصرها الجوع والفقر والمرض نظرًا للسياسة الانهزامية التي تقدم للمحتل فروض الطاعة والولاء على حساب قوت الشعب، بل رمقه الذي يمنحه الحياة.

أبرزت الكاتبة الصور السلبية في المجتمع المصري بأسلوب المقارنة بين حال المصريين ممثلًا في طبقة الصيادين أثناء الحرب العالمية الثانية، وبعدها وسعي خبراء الاقتصاد للإصلاح، وموقف الحكومة المناهض لإرادة الإصلاح، وحرمان الشعب من ثرواته، وتمتع الغرباء بها، بأسلوب المفارقة التصويرية بمدّ معاوني الاحتلال أيديهم للأعداء على حساب الإخوان، ولم تقتصر الكاتبة على العدّ والإحصاء بل هدفت للتغيير، وحمل المفسدين على التوقف عن سلوكهم المشين، والتنديد بسياسة المستعمر وأعوانه.

ثالثًا: المقالة السياسية

هي التي تعلم الشعب حقوقه وواجباته السياسية وتغرس فيه حب الوطنية، وهي ليست كلامًا ارتجاليًا يقال، وإنما هي الروح التي توقظ الشعب من سباته العميق، وسلبيته اليائسة في التغيير، وتلهب حماسة الشعب في الثورة في وجه المستعمر الغاشم، والحاكم الفاسد بتحقيق الحرية والاستقلال وإصلاح أحوال الشعب ونظام الحكم.

فهي من مظاهر سمو الوجدان ورقيه، للتعبير عن عاطفة وطنية خالصة يجيش بها صدر الكاتب الوطني المخلص لوطنه[١].

وقد نشطت المقالة السياسية في مصر في العصر الحديث نشاطًا واسعًا بسبب سيطرة الاحتلال البريطاني على مصر، وكان من نتائج ذلك قيام الثورة العرابية فكما حوكم زعماء الثورة حوكم معهم كتاب المقالة السياسية فاختفى عبد الله نديم، ونفي محمد عبده، وأبعد جمال الدين الأفغاني، ومما لا شك فيه أن أقوى شيء قاومنا به الاحتلال البريطاني هو مقالات مصطفى كامل في صحيفة «اللواء» التي شحذت عزائمنا لمناهضة الاحتلال ومصارعته، وهو بحق زعيم حركتنا القومية في عصره غير مدافع، إذْ كان شعلة وطنية متقدة، وكان خطيبًا مفوهًا وكاتبًا سياسيًا لا يشق غباره، فانبرى يوقظ فينا وعينا القومي صائحًا في سمعنا وسمع العالم الأوروبي كله صيحاته المدوية في حقوق المصريين في الحرية والاستقلال والحياة الكريمة.

وكان مما ضاعف من نشاط المقالة السياسية نشوء الأحزاب السياسية بعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وتعاركها عراكًا عنيفًا، ولعل خير من يمثل هذا الجيل أمين الرافعي وعباس العقاد، ومحمد حسين هيكل، وعبد القادر حمزة، وغيرهم ممن كانت مقالاتهم مدافع مصوّبة إلى صدور المحتلين، يستثيرون بما يكتبون عامة الشعب وخاصته لمقاومة الاحتلال البريطاني[٢].

خصائصها: المقالة السياسية في أغلب نماذجها صورة من صور أدب الوجدانيات الصادق، لصدورها عن وجدان الكاتب، وتعبيرها عن مشاعره وعواطفه الصادقة تجاه وطنه.

فهي تتطلب نوعية خاصة من العاطفة الصادقة، والمضمون الوطني الحماسي، الذي من شأنه أن يستنهض الهمم، ويوقظ الحس الوطني، ويلفت أنظار الأمة للمطالبة بحقوقها في الحرية والاستقلال والحياة الكريمة، كما تتطلب البساطة والوضوح في الألفاظ والأساليب لأنها تخاطب جميع طبقات الشعب[٣].

وقد شاركت أديبتنا بعطائها الأدبي في قضايا أمتها داعية إلى الإصلاح السياسي، والنضال الوطني ضد الاستعمار الذي يستغل مقدرات الوطن وثرواته، ويحرم أبناء الأمة من خيرات بلادهم.

---

[١] فن المقال في ضوء النقد الأدبي، د. عبد اللطيف محمد الحديدي، (ص٣٩).

[٢] الأدب العربي المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف، (ص٢٠٥، ٢٠٦).

[٣] فن المقال في ضوء النقد الأدبي، د. عبد اللطيف الحديدي، (ص٣٨، ٣٩).

ولم تقف بهذه الدعوة عند حدود وطنها فحسب، بل اتسعت لتتناول الوطن العربي كاملًا، منددة بما يحدث فيه على أيدي الاستعمار وأعوانه من أبناء الأمة الضالين، من ذلك قولها في مقالة بعنوان: **«سر مقتل ملك اليمن الراحل»** [1] :

«استشهد المغفور له الإمام يحيى ملك اليمن واشتغل الرأي العام بمأساة قتله وفي الحرب الشعبية التي قامت بين فريق الحق وفريق الباطل، وظل التطاحن قائمًا والعالم يرقبها رقابة عابرة يرجو النصر للحق وحسب ... وانتصر الحق بحمد الله وانتهى ما كان يشغل الذين يهمهم مصلحة اليمن والشرق بانتهاء الفصل في هذه المعركة، وأوشك الناس أن ينسوا المأساة ولم يعد يذكر المغفور له غير أهله وذويه ومن كانوا يحبونه ويعرفون فضله، ولم يفكر كائن في الشرق حتى الذين يهمهم التفكير في أسباب المآسي الإنسانية والجرائم الدولية!! فإن قتل الإمام ليس قتل رجل من عامة الشعب قتل لسبب تافه أو غير تافه لا يهم شعبه أو الشعوب الأخرى من أمره الشيء القليل أو الكثير، بل الذي قتل ملك ، وملك دولة عربية حريصة على تقاليدها وشريعة دينها.

ولما كان قتله كما نعلم وليد دسائس سياسية لها أهداف استعمارية فإنه من الإنصاف أن نكشف للعالم العربي سر هذه الجريمة الشنيعة.

والذي يعلمه الناس جميعًا ويشاع عن الملك الراحل أنه كان حريصًا على التمسك بالشريعة الإسلامية في داخل بلاده وتنفيذ قوانينها في دقة وقد تطرقت الإشاعة إلى حد المبالغة الباطلة فاتهموا جلالته (رحمه الله) بأنه يمنع ترقية بلاده بما يناسب الحالة الحاضرة.

ولقد حققنا صحة ذلك فعلمنا من مصدر موثوق به يقرر الواقع للحق والإنصاف والتاريخ، وهو أن المغفور له الإمام يحيى كان جدًا حريصًا على عروبته خوفًا من أن تلعب المدنية بشريعة الدين فتنحط الأخلاق ويضعف الوعي الديني، وقد كان – رحمه الله – ذكيًا بعيد النظر يتنبأ بالحوادث قبل وقوعها، ولعل ذلك لفرط إيمانه وقربه من الله .. فخاف على شعبه أن يناله من المحن والغير ما نال الشعوب الأخرى التي لعبت بها مدنية الغرب والمستعمرين، فتحريمه لدخول أي أجنبي في بلاده صيانة كبرى بلا شك من عبث المغيرين والمستعمرين.

وقد كان يفكر (رحمه الله) في تقوية شعبه وتنظيمه وإعداده إعدادًا يكفل له الطمأنينة والرغد بأيدي أبنائه، لذلك رفض في إباء رفضًا تامًا مساومة أمريكا وإنجلترا معه بشأن البترول، وقد حاولت هاتان الدولتان بشتى الطرق المغرية والإفراط في العرض المادي أن تثنيه عن عزمه وتغريه على قبول المساومة وبيع البترول والسماح لشركاتها باستغلال آبار البترول في اليمن.

ولكنه صمم على الرفض ... وشاء أن يستغل أهل اليمن بلادهم بأيديهم، فأرسل بعثة إلى أمريكا لدراسة الهندسة مع التخصص في شئون البترول، وفعلًا أتمت دراستها وعادت إلى اليمن.

---

[1] مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص٤: ٧).

فأرسل يطلب من أمريكا الآلات الخاصة بالبترول، ولما لم تسعفه أحضر من إيطاليا وبدأ المهندسون اليمنيون المختصون بالعمل فإذا بالآلات ناقصة بعض العدد الدقيقة التي تعطل عملها؟!!

فماذا يقول التاريخ عن ملك يأبى أن يبيع خير بلاده ليغنم هو بالثروة لنفسه وحدها مؤثرًا أبناء شعبه لينتفعوا بالخير وينفعوا بلادهم.

لقد عرف أن يحارب الاستعمار دون جلبة وضوضاء في سكون وخفاء!

وهذه هي الحرب الفعالة الناجحة الحرب التي لا يمكن أن يغلبها السلاح ولا المدمرات، لأنها أقوى من هذا وذاك، حارب الاستعمار بقوته المعنوية والروحية فكان من الطبيعي أن تنتصر الروح على المادة حتمًا، لكن للشعوب جراثيم آدمية لا عمل لها غير الضر والشر، هذه الجراثيم صنائع للمستعمرين يعيشون على حسابهم ليحققوا أهدافهم الاستعمارية غير آبهين بالدين والضمير:

من هذه الجراثيم أولئك الذين خرجوا على الملك وقتلوه وقاموا يدعون الناس إلى التحرر من نير عبوديته والله يعلم أنهم يدعون الناس إلى عبودية المستعمرين والأخذ بتعاليمهم الباطلة وسياستهم الغاشمة، وهكذا تلعب السياسة الاستعمارية دورها في خفاء .. فتقتل الملك العظيم والعاهل الذي صان الحق والفضيلة والحرية الشعبية؛ لأنها خافت أن تمتد قوته إلى ما وراء شعبه وتدرك الشعوب الشرقية الأخرى فلسفة حربه .. فتنحو نحوه، وبذلك يفقد المستعمر كل سلطان وكل خير يرتجيه في الشرق العربي الذي يشرب دمه ويعيش على خيره وثروته.

فلو أن الشعوب العربية حاربت المستعمرين بالسلاح الروحي والاقتصادي، سلاح الاعتماد على الدولة وأبنائها وخيراتها وإنتاجها، لما استفحل الداء وبلغ بنا هذا الدرك الذي يوشك أن يفقدنا الحياة.

كان الإمام (رحمه الله) يعلم خفايا الأمور دقيق الإحساس يتصور الواقع ويعمل على ضوء الحكمة فهل ينكر أحد أن آفة الشرق العربي تدّخل الأجنبي في كل شئونه الاقتصادية والتجارية والزراعية.

وهنا على الأخص في مصر .. كم شركة أجنبية؟ وما هي نسبة المستغلين مصر زراعيًا وتجاريًا واقتصاديًا من الأجانب. وأهلها يتضورون جوعًا؟؟ وأسفاه؟..

ليست الحرية القومية في التمشدق بها، إنما هي أن نكون في غنى عن غيرنا، قانعين بما رزقنا الله من خيرات وفيرة في بلادنا والحمد لله.

والإمام الفقيد كان شاعرًا فذًا وصحفيًا ممتازًا وعالمًا كبيرًا ميالًا لاقتناء الكتب النفيسة وعنده مكتبة عظيمة حوت من جميع المخطوطات ما لا مثيل له في العالم العربي، وكان يكتب افتتاحية صحيفة – الإيمان – ومن شعره الكثير الذي يحفظه سكان اليمن قوله:

فيا قوم هبوا شمروا وتعاضدوا وحوطوا ذمار الدين عن كل مائل

وله مواقف نبيلة مع الشعراء والأدباء يحوطهم بعطفه ورعايته ويهتم بهم اهتمامًا خاصًا.

وإننا نحمد الله الذي جعل في الإمام أحمد خير عزاء يحفظ للأدباء والشعراء حياتهم الهنيئة، كما

كانوا في عهد أبيه الذي يعتبر إمامًا في الدين والأدب والشعر والصحافة.

فإلى الملك الراحل المغفور له الإمام يحيى ملك اليمن، ذكرى خالصة صادقة لا يشوبها رياء.

راجين الله في إخلاص أكيد أن يجعل من خليفته الإمام أحمد الناصر لدين الله ملك اليمن، خير مثل يحتذى به أبناء الحرية الحقة، ولا شك أن اليمن سوف تجمع بين خلاصة النهضة الحديثة الراقية التي لا تشوبها شائبة من شوائب أباطيل الغرب، وبين تعاليم الدين الحنيف ومراسم العروبة النزيهة .. حفظه الله ورعاه».

التحليل الفني للمقالة:

عنوان المقالة: يتناسب مع الفكرة العامة ويؤدي دورًا مهمًا في إثارة ذهن القارئ، ويدل على براعة الكاتبة في اختيار العنوان المعبر عن المضمون الإيحائي للمقالة بالنهاية المحزنة التي آل إليها ملك اليمن.

الفكرة الرئيسة: تدور المقالة حول مأساة مقتل ملك اليمن الإمام «يحيى» الذي سعى إلى تحرير بلاده من كل تبعية للأجنبي، وحافظ على مقدرات بلاده، ورفض المساومة في بيعها للمحتلين، وعمل على تطوير بلاده والرقي بها، مما أثار غضب الدول الغربية، خوفًا من أن تنحو نحوه الشعوب العربية في الاكتفاء بخيرات بلادهم، فتضيع أهداف المحتلين في امتصاص دماء الشعوب، وثرواتها، «أفكار واضحة تحمل معاني عميقة، وتكسب أدب الأديبة خلودًا وبقاءً»[(١)].

مقدمة المقالة: بدأت الكاتبة موضوعها بمقدمة قصصية، تلخص الموضوع، وتثير انتباه القارئ لمتابعة الموضوع، فقد بدأت القصة بالمصير المفجع الذي آل إليه ملك اليمن وهو استشهاده في الحرب الشعبية التي أشعل نيرانها أعوان الاستعمار وأصابعه الخفية، التي تثير القلاقل السياسية، وتفرق الناس فرقًا، يناهض بعضهم بعضًا بالوقوف مع الباطل ضد الحق وأصحابه، ثم انتصار الحق في النهاية بفضل الذين يهمهم مصلحة اليمن، فالمقالة إخبارية تقص حادثة تثير الشوق، وتأسر الانتباه، وللكاتبة الحق في بدء (القصة من أي نقطة أرادت سواء البداية أو الوسط أو النهاية، وبهذه الوسيلة يترسخ المغزى في ذهن المتلقي)[(٢)]. إذ تجعله يتابع في شغف السبب الذي استدعى هذا المصير «ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى، وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف»[(٣)].

عرض الموضوع: بدأت الكاتبة عرض موضوعها ببيان الأسباب التي أدت إلى مأساة مقتل ملك

---

(١) النقد الأدبي، أحمد أمين، (ص٤٨)، ط٣، ١٩٦٣م، مكتبة النهضة المصرية.

(٢) القصة القصيرة في العالم العربي، ظواهر بيانية ودلالية، د. حميد لحمداني، (ص١٤٧، ١٤٨) بتصرف، ط١، ٢٠١٥م، مطبعة آنفوبرانت.

(٣) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، (ص١٣٢).

اليمن، الذي مرت مأساة قتله في صمت بالغ، مع كونه شخصية عظيمة «ولم يفكر كائن في الشرق حتى الذين يهمهم التفكير في أسباب المآسي الإنسانية والجرائم الدولية!! فإن قتل الإمام ليس قتل رجل من عامة الشعب قُتل لسبب تافه أو غير تافه، بل الذي قتل ملك، وملك دولة عربية حريصة على تقاليدها وشريعة دينها»[١].

وهذا يدل على انفراد أديبتنا بالوقوف على هذا الحدث الخطير، ويدل على معايشتها لقضايا الأمة، وتفانيها في تحمل تبعات رسالتها الإنسانية في التنوير، وإزاحة الغمام عن أعين الناس، حتى بالأحداث الجارية خارج محيط وطنها الجغرافي، لأنها ترى أن الوطن العربي كله – على امتداده – وطنها.

وتعلل الأديبة لأسباب وقوفها على تلك المأساة: بأن الذي قتل هو الإمام وملك دولة عربية، وبأن قتله كان نتيجة يد الغدر الآثمة التي بثّ الاستعمار مخالبه في الشرق بواسطتها «ولما كان قتله كما نعلم وليد دسائس سياسية لها أهداف استعمارية فإنه من الإنصاف أن نكشف للعالم العربي سرّ هذه الجريمة الشنيعة»[٢]. ويتمثل فيما يأتي:

– إشاعة ألسنة الاستعمار عن الملك كذبًا وبهتانًا بأنه يمنع ترقية بلاده بما يناسب الحالة الحاضرة.

والواقع أن هذا الملك كان حريصًا على عروبته خوفًا من أن يلعب تحرر الغرب بشريعة الدين فتنحط الأخلاق، ويضعف الوعي الديني، باختلاط شعبه بمدنية الغرب الوافدة، فضلًا عن أن تحريمه لدخول أي أجنبي في بلاده إنما هو صيانة لها من عبث المحتلين.

– ومحاولته (رحمه الله) في تقوية شعبه وتنظيمه، والاعتماد على سواعد أبنائه، ورفضه رفضًا تامًا مساومة أمريكا وإنجلترا معه بشأن بيع بترول بلاده.

– إيفاده البعثات العلمية إلى أمريكا لدراسة هندسة استخراج البترول لانتفاع أبناء بلاده بخيرات بلادهم، فما كان من أعداء الوطن الداخليين من الخونة والمعاونين للاحتلال إلا الخروج على الملك وقتله، ودعوة الناس إلى التحرر من عبوديته، وفي الواقع تحويلهم لعبودية المحتل الذي يمتص دماء الشعوب.

وتنتقل الأديبة في عرض الفكرة بالتحليل وإدراك أوجه الشبه، من الخاص إلى العام، والعام إلى الخاص، بدعوة حكام الشعوب العربية للتحرر من ربقة التبعية والتسلط الأجنبي، والتدخل في شئون الوطن، واستغلال ثرواته، وحرمان أبنائه، ومحاربة المستعمرين بالسلاح الروحي والاقتصادي، لا بيع الوطن لهم، وإمدادهم بالامتيازات التي تكفل لهم حق الاستغلال الزراعي والتجاري والاقتصادي،

---

[١] مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص٤).

[٢] نفسه.

بينما الشعب يتضور جوعًا، وبتلك المفارقة التصويرية، والمواجهة القوية لقضايا الوطن: تضع الكاتبة بفكرها الثقافي العميق الأمة وحكامها أمام لُبّ القضية، بالحوار، والمنطق، وحشد الأدلة، والمقارنة لإيقاظ الوعي القومي كما في هذا النص: «فهل ينكر أحد أن آفة الشرق العربي تدّخل الأجنبي في كل شئونه الاقتصادية والتجارية والزراعية.

وهنا على الأخص في مصر ... كم شركة أجنبية؟ وما هي نسبة المستغلين مصر زراعيًا وتجاريًا واقتصاديًا من الأجانب. وأهلها يتضورون جوعًا؟؟ وأسفاه؟».

وتقدم الكاتبة الحل الأمثل لتلك المشكلة بقولها: «فلو أن الشعوب العربية حاربت المستعمرين بالسلاح الروحي والاقتصادي، سلاح الاعتماد على الدولة وأبنائها وخيراتها وإنتاجها، لما استفحل الداء وبلغ بنا هذا الدرك الذي يوشك أن يفقدنا الحياة»[١].

وهذه الأفكار التي تبثها الكاتبة واضحة تبرز نضالها الفكري، والمعالجة القوية التي تدل على ذكاء الكاتبة، واستقلال آرائها، ونزاهتها، ووضوح الرؤية، وقوة الحجة، وبراعة الأسلوب، واستقصاء الفكرة وشرحها، وإيراد الشواهد على صوابها في العرض لإقناع القارئ.

فبعد عرض الموضوع تصل الكاتبة إلى تقرير حقيقة الحرية القومية، وأنها ليست بالعبارات الحماسية الرنانة، وإنما بالتحرر من ربقة الأجنبي «ليست الحرية القومية في التمشدق بها، إنما هي أن نكون في غنى عن غيرنا، قانعين بما رزقنا الله من خيرات وفيرة في بلادنا والحمد لله»[٢].

وهي أفكار صحيحة نادى بها المصلحون في كل زمان ومكان، وهي مطابقة لما لا ينكره العقل الإنساني، وتتسم بالموضوعية والارتباط بالواقع[٣].

خاتمة المقالة: لم تشأ الكاتبة أن تنهي المقالة بمقتل الملك على أيدي الخونة من أبناء شعبه الذين يحرّكهم الاستعمار كيف يشاء، مسلوبي الإرادة، والضمير والأخلاق، وإنما آثرت أن تبين حقيقة انزعاج المحتلين بكل قوة عربية تحاول الاستقلال ومحاربتهم لها بشتى الطرق، وكشفت عن مأساة الشعوب العربية كافة في التبعية للغرب، وحاولت إيقاظ الوعي وتقديم الحلول النافعة.

وأخيرًا ألقت الضوء على سمات الملك الفقيد وخصائصه الروحية والأدبية، فهو إنسان دقيق الإحساس يعلم خفايا الأمور، لشدة قربه من الله تعالى وإيمانه به، وهو شاعر فذّ، وصحفي ممتاز، وعالم كبير، لديه مكتبة عظيمة تحتوي على الكتب النفيسة والمخطوطات النادرة، وكان يكتب افتتاحية صحيفة – الإيمان – ومن شعره الكثير الذي يحفظه سكان اليمن قوله:

فيا قوم هبوا شمروا وتعاضدوا وحوطوا ذمار الدين عن كل مائل

---

[١] مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص٦).

[٢] المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

[٣] التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، د. بدوي طبانة، (ص٣٦٤)، ط٢، ١٩٧٠م.

ويدرك أثر الأدب ودور الأدباء في التأثير في المجتمع فيحيطهم بعطفهم، ويهتم بهم اهتمامًا خاصًا إذ لا يقدّر قدر الأديب غير الأديب، ولا العالم إلا العالم، وفي خليفته، الإمام «أحمد» خير عزاء يحفظ للأدباء والشعراء حياتهم الهنيئة كما كانوا في عهد أبيه.

وتهدي الذكرى الصادقة الخالصة التي لا يشوبها رياء إلى الملك الفقيد، وترجو أن يوفّق خليفته في النهوض باليمن، وتحقيق الحرية الحقة، التي لا تشوبها شائبة من شوائب أباطيل الغرب، وتجمع بين تعاليم الدين الحنيف ومراسم العروبة النزيهة.

وهذه الخاتمة لا تشذ عن التصميم الفني للمقالة؛ لأنها تكشف عن السمات النفسية والخلقية للشخصية المحورية، وتطلع القارئ على ملامح تلك الشخصية بسلوكها ومواقفها وصفاتها، مما هو ضروري لإزاحة الستار عن شخصية خارج حدود الوطن الإقليمي، كما أنها تأبين للشهيد الراحل في صفاته النبيلة، وأعماله الجليلة الخالدة (رحمه الله).

الخصائص الفنية للمقالة:

تحققت في هذه المقالة خصائص المقالة السياسية: حيث تمتاز الألفاظ بالقوة مع سهولتها وعذوبتها ووضوحها، ومناسبة الألفاظ مع المعاني التي تعبر عنها، فالكاتبة تختار ألفاظها وعباراتها بعناية ولا تسترسل مع خواطرها كيفما وردت مما جعل المقالة تسلك مسلك الفن الأدبي، وتحيد عن النبرة الخطابية المباشرة.

ففي بداية المقالة تأتي الكاتبة بلفظ «استشهد» المغفور له ... لما يوحيه هذا اللفظ من ظلال إيحائية بأن ملك اليمن كان يجاهد ونال الشهادة في معركة عظيمة، هي الحرب الشعبية بين أهل الحق وأهل الباطل، ويأتي الطباق بين «الحق والباطل» ليبرز قوة الصراع وحدته بين مَن يريدون الحرية لليمن والاحتلال لها، بين الوطنيين، والخائنين وموقفهم المتضاد.

وفي موطن الحديث عن يد الغدر القاتلة التي خرجت على الملك وقتلته تأتي الكاتبة بلفظ: القتل، لمناسبتها للغدر والخيانة في موقف هؤلاء الخائنين للدين والوطن وللنفس «خرجوا على الملك وقتلوه»، ووصفها إياهم بـ«الجراثيم الآدمية» التي لا عمل لها غير الضرّ والشرّ، وهو وصف بارع لهؤلاء المارقين الذين يمتلئون حقدًا وشرًا، ولا يستطيعون العيش دون إلحاق الأذى بمن حولهم، والوصف البياني قائم على أسلوب التشبيه بالجراثيم التي تنشط لإفساد الجزء الصحيح الكبير وإبادته، تصوير حيّ لحصول الضرر ووقوعه من فئة تنسلخ عن الإنسانية والدين والضمير وتتسبب في أضرار بالغة، فئة ضالة موجودة في كل زمان ومكان، مهمتها سقوط الوطن وقتل أحراره.

وفي وصف موقف هذا الملك الإمام الواضح القويّ الرافض للتبعية للغرب والإذعان له تأتي بألفاظ: «الرفض والإباء، والحرب ويأبى، يحارب «رفض في إباءٍ رفضًا تامًا – يأبى أن يبيع خير بلاده، عرف أن يحارب الاستعمار – حارب الاستعمار بقوته المعنوية والروحية».

ومجيء هذه الأفعال بصورة الماضي والمضارع، والمصدر ليدل على ثباته الدائم في موقفه، وأن

الغرب لا يعترف بغير القوة في مواجهته، وفي وصف موقف الغرب ووسيلتهم في استغلال الشعوب عن طريق الحاكم تأتي بألفاظ: «حاولت، بشتى الطرق المغرية، والإفراط في العرض المادي، تثنيه – تغريه – المساومة – بيع – استغلال».

وهي ألفاظ تتناسب مع سياسة الغرب ووسيلتهم مع أعدائهم، وتدل على ثقافة الكاتبة الواسعة، وقدرتها البيانية على استخدام ألفاظ اللغة بما لها من دلالة وإيحاء.

– يمتاز الأسلوب بالتفصيل والإطناب، والتعليل والاستعانة بالمنطق، والإقناع عن طريق استقصاء جوانب الفكرة، والتعمق فيها بإيراد الأمثلة عن طريق التقابل في المواقف، بأسلوب المفارقة التصويرية والمقارنة بين موقف ملك اليمن الذي أبى ورفض، وصمم على الرفض لبيع خيرات بلاده للمستعمرين، بينما في مصر: «وهنا على الأخص في مصر .. كم شركة أجنبية؟ وما هي نسبة المستغلين مصر زراعيًا وتجاريًا واقتصاديًا من الأجانب. وأهلها يتضورون جوعًا؟؟ واأسفاه؟»[1].

والصورة ناطقة بما يحدث في الماضي والحاضر من حرمان أبناء مصر من خزائن أرضهم، وتقديمها للمحتلين، والاستفهام المتكرر المسبوق بـ«كم» التي تدل على الكثرة والتعدد ما يفيد شدة الحسرة والألم، وهو ما يعكسه أسلوب الندبة والتحسر: «وا أسفاه» وهو ما يعكس صدق العاطفة، فالكاتبة تتحدث عن نكبة وطنها، وسر بلائه، وشقاء أهله ومعاناته، وتعطي صورة صادقة لما كانت عليه مصر في زمنها، وإن ظلت تلك الصورة باقية إلى عصرنا، مع اختلاف الشخوص والرغائب والمساحات.

«فماذا يقول التاريخ عن ملك يأبى أن يبيع خير بلاده ليغنم هو بالثروة لنفسه وحدها مؤثرًا أبناء شعبه لينتفعوا بالخير وينفعوا بلادهم»[2].

فالأسلوب جزل قويّ يثير الحماسة في النفوس، ويرغب إليها الحرص على الحياة الكريمة، بتصوير الموقف الإيجابي لملك اليمن تجاه شعبه.

– برزت شخصية الكاتبة قوية واضحة في تناولها للموضوع بذكاء متوقد، وعقل مغامر جريء، وثقافة واسعة أمدتها بالتعليل والتحليل، والعرض المترابط الذي يشد القارئ ويحقق له الإمتاع الفني، ويزوده بالحقائق التي يجهلها في مجتمعه، والحياة الإنسانية العامة، فتحمله على التفكير والتغيير لما يعايشه من واقع مُزْرٍ.

– جاء الإقناع للقارئ عن طريق العقل والمنطق تارة، والخيال المصور تارة أخرى للتأثير في المتلقي وإثارة شعوره بالخيال الذي «يؤلف بين الأحداث والمواقف في لوحات وجدانية متآلفة، تحمل دفقات الكاتبة الشعورية»[3].

---

[1] مجلة الأهداف ، العدد الأول، (ص٦).

[2] المرجع السابق، (ص٥).

[3] المقال الاجتماعي عند أحمد حسن الزيات، د. أحمد عبد الغفار عبيد، (ص٢١٥).

– فمن الصور الخيالية قول الكاتبة: «تلعب السياسة الاستعمارية دورها في خفاء .. فتقتل الملك العظيم والعاهل الذي صان الحق والفضيلة والحرية الشعبية»[١].

فتصور السياسة الاستعمارية بإنسان خبيث مخادع يأتي بالموبقات في خفاء على سبيل الاستعارة بالكناية التي تشخص المعنوي في صورة المحسوس، فالسياسة تلعب في خفاء، وتقتل الملك العظيم، على سبيل التجسيم للسياسة بالسيف الحاد الذي يقتل غدرًا، فضلًا عما توحيه عبارة: «في خفاء» من معاني المكر والخبث، والخداع، والضر والشرّ، وتعدد الوسائل التي يسلكها أصحابها بعيدًا عن الوضوح والمواجهة الشريفة.

وفي قول الكاتبة: «صان الحق والفضيلة والحرية» مقارنة بالتقابل بين موقف أيادي الاستعمار الخائنة التي تهدم الأوطان، وتقتل وتخرب وتشرد، وبين موقف ملك اليمن العظيم، فصفاته السابقة دليل على عظمة أخلاقه، فقد حفظ الحق من الضياع، والفضيلة من الإهدار، وحرية بلاده من الإذلال والاستعباد، والأسلوب قائم على الاستعارة المكنية، فقد جسمت الحق، والفضيلة، والحرية، بشيء يحفظ ويصان، بعيدًا عن مس الأيدي التي تريد النيل منها، تصوير يوحي بقوة الصمود، والثبات على المبدأ، والنضال من أجله.

– وتبدو قوة العاطفة الصادقة التي: «تنبعث عن سبب صحيح غير زائف، ولا مصطنع»[٢]؛ حيث إنها عاطفة مرتبطة بوطنها وقومها، تهز وجدان المتلقي، لتبث فيه القوة والحماسة نحو حريته واستقلاله، في رسم الصور المقززة والمنفرة لسياسة الاستعمار، الذي يشرب دماء الشعوب، ويعيش على خيرها وثروتها في قولها: «وبذلك يفقد المستعمر كل سلطان وكل خير يرتجيه في الشرق العربي الذي يشرب دمه ويعيش على خيره وثروته»[٣].

فالصورة الكنائية في «يشرب دمه ويعيش على خيره» توحي بانتهاب المستعمر وامتصاصه لثروات الشعوب، وسلبه كل ما من شأنه أن يبقي ربقة الحياة فيهم، إذ لا توجد حياة لإنسان بغير دم القلب، والتعبير بالمضارع في «يشرب» أقوى في الدلالة من يمتص لأنها توحي بالمبالغة وشدة الحرص على الارتواء من شدة الظمأ، ولما يوحيه التعبير بالمضارع من إفادة التجدد والاستمرار في سلب المستعمر الحياة والحرية للشعوب، واستحضار الصورة المنفرة التي تدل على انحراف فطرة المستعمر وشذوذها، فهم كمصاصي الدماء الذين يتلذذون بإيلام البشر، وإزهاق أرواحهم بطول التعذيب والتقطيع للأجساد في حال الحياة.

فالعاطفة الساخطة الكارهة للاحتلال في نفس الأديبة، قد ولدت كرهًا عميقًا وسخطًا في نفسية

---

[١] مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص٦).

[٢] أصول النقد الأدبي، د. أحمد الشايب، (ص١٩).

[٣] مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص٦).

المتلقي تجاه هذا المحتل، وأدت إلى هذه الصور التي تحمل عن الكاتبة رسالتها الشعورية الملحّة، ودفقاتها العاطفية القلقة، وتفنن الأديبة في رسمها وسوقها ملائمة للمعنى الذي يجيش بخاطرها للتأثير في القارئ، وحثه على امتلاك الحرية، ورفض القهر والظلم، والتصدي لإرادة المستعمر الذي يسلبه الحياة، وبذلك عُنِيَتْ الكاتبة بالجانب العاطفي للمتلقي بالصور تارة، والإطناب تارة أخرى بإثارة شعور القارئ عن طريق زيادة الشرح والتحليل «ووظيفة الأديب أن يهيئ للألفاظ نظامًا ونسقًا يسمح لها بأن تشع أكبر شحنتها من الصور والظلال والإيقاع، وأن تتناسق ظلالها وإيقاعاتها مع الجو الشعوري الذي تريد أن ترسمه، وألا يقف بها عند الدلالة المعنوية الذهنية»[١].

– اهتمت الكاتبة بالإيقاع الموسيقي ذي النغمة القوية المؤثرة بتحقيق التوازن بين الجمل والفقرات، والسجع غير المتكلف في قولها: «ولم يفكر كائن في الشرق حتى الذين يهمهم التفكير في أسباب المآسي الإنسانية والجرائم الدولية.!! أن الذي قتل ملك ، وملك دولة عربية حريصة على تقاليدها، وشريعة دينها، كان حريصًا على التمسك بالشريعة الإسلامية في داخل بلاده وتنفيذ قوانينها في دقة، وقد تطرقت الإشاعة إلى حدّ المبالغة الباطلة فاتهموا جلالته (رحمه الله) بأنه يمنع ترقية بلاده بما يناسب الحالة الحاضرة»[٢].

وكما في قولها: «حارب الاستعمار بقوته المعنوية والروحية، لكن للشعوب جراثيم آدمية، هذه الجراثيم صنائع للمستعمرين يعيشون على حسابهم ليحققوا أهدافهم الاستعمارية غير آبهين بالدين والضمير»[٣].

وقولها: «والإمام الفقيد كان شاعرًا فذًّا وصحفيًا ممتازًا، وعالمًا كبيرًا ميالًا لاقتناء الكتب النفيسة وعنده مكتبة عظيمة»[٤].

– تعطي المقالة صورة صادقة للحب السامي بين الكاتبة ووطنها القومي والعربي والإخلاص لقضاياه.

تتسم المقالة بغزارة المعنى، وتكثيف الأفكار مما يسمو بها ويخلدها، لأن (خلود الأدب مرتبط بكمية الحقائق التي يؤديها ويؤيدها)[٥].

٢– ومن المقالات السياسية الصحفية مقال للأديبة بعنوان: «**ماذا تحقق من الأهداف؟**»، ضرورة

---

[١] النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، سيد قطب، (ص٤٥).

[٢] مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص٤).

[٣] المرجع السابق، (ص٥).

[٤] المرجع السابق، (ص٦).

[٥] أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، (ص٢٢٧).

تأليف لجنة للرد على النقد الموجه لكل وزارة، تقول فيها[١]: «يتساءل الناس دائمًا كلما عنَّ لهم الحكم على الحكومة القائمة ماذا حققت من أهداف؟

فيقول مريدوها: حققت كل شيء، ويقول غير الراغبين: لم تحقق أي شيء، بل ضيعت بعض أعوام من عمر التاريخ هباءً !!

ويقول المنصفون: إنها حققت بعض أهداف ومعذورة في عدم تحقيق بعض الأهداف – إنما كان يجب أن تحقق هذه الأهداف ويضربون مثلًا لما يتراءى لهم.

ويحار البعض في إدراك الحقيقة لأنهم لا يصدقون الثرثرة الكلامية ولا يؤمنون بغير ما ينشر في الصحف ولكل قارئ صحيفة يؤمن بها من أجل كاتب يدين به ويعتقد بصحة كل ما يكتبه حتى ولو أسماه غيره باطلًا، وعجيب أن يتهاون الناس بتأثير الكاتب في نفوس المتعلقين به حتى أصحاب الرأي والسلطان الذين يهمهم ومن مصلحتهم أن يعرف الناس عنهم الحقيقة للحق وللتاريخ إذا فرض أنهم من السطوة بمكان لا يضطرهم لاسترضاء الشعب.

فكل يوم يمر تنشر الصحافة بأقلام كتاب لبعضهم مكانة ممتازة في نفوس القراء ينقدون بعض الوزراء، هو نقد بريء على كل حال لكن جمهرة الشعب الذي يفهم ما يكتب بمعناه الواضح دون عمق ... يظن أن هذا النقد معناه نقد في سياسة الوزير العملية ... ومن يدريه الحقيقة – وهو لا يقرأ غير التهمة من ناحية الكاتب الذي يمثل المجني عليه ولا يقرأ دفاع الجاني – ليحكم هو بدل القاضي عن المخطئ والمصيب !!

فمثلًا نشر الدكتور زكي مبارك مقالًا في جريدة البلاغ منذ أسابيع يداعب فيها معالي دسوقي أباظة باشا مداعبة لطيفة بريئة لا تخلو من غمزات لا يفهمها غير الأدباء والقراء، ثم انتقل إلى معالي السنهوري باشا فانتقده في صراحته المعهودة نقدًا يسميه الذين يعرفون صفاء قلب الدكتور زكي مبارك أنه نزيه يهدف لمصلحة التعليم والشعب بعيد عن التهريج الشخصي الذي يلجأ إليه الناقد الدعي.

وهؤلاء الذين يعرفون الدكتور ويعرفون معالي السنهوري باشا لا يهمهم سماع رد الباشا لأنهم خبيرون بدخائل وزارة المعارف.

لكن الجمهور الذي يدين بأدب الدكتور ويؤمن بكل ما يكتبه ولا يعرف الشيء الكثير أو القليل عن السنهوري باشا غير أنه وزير المعارف صاحب السلطة المطلقة ... يهمه بالتأكيد أن يعرف رأي الوزير فيما اتهم به من أنه أضر التعليم ضررًا بليغًا؟؟

هذا ادعاء الكاتب الذي يمثل جمهرة القراء والمجني عليه فماذا يقول – الوزير وهو كقاضٍ يعلم أن المتهم أو الجاني – مهما كان بريئًا فيجب أن يثبت براءته ... والشعب المصري لا يعرف غير لغة الأرقام والصحف؟؟

---

[١] مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص١٣، ١٤).

قد يكون وقت الوزير لا يسمح له بذلك فلماذا لا تشكل لجنة في وزارة المعارف بالرد على كل نقد أو تهمة توجه للوزارة في شخصية وزيرها، ولماذا لا تشكل لجنة في كل وزارة اختصاصها الرد على كل ما يوجه من نقد لكي توقف الجمهور على حقيقة الأمر فلا يتخبط في دياجير الشك والارتياب، وقد يتلاعب به الشك فيؤمن بما يسمعه ويقرؤه ما دام الجانب الآخر يلزم الصمت.

ونحن نأمل أن يهتم دولة رئيس الوزراء أن يولي هذا الأمر اهتمامًا فيوجه نظر الوزارات إلى ضرورة تشكيل لجان لهذا الغرض».

التحليل الفني للمقالة:

موضوع المقالة: ينتمي إلى المقال الموضوعي السياسي الصحفي الذي انتشر في العصر الحديث نظرًا لانتشار المعرفة العلمية بين الناس واهتمامهم بأمور السياسة، لتأثير ذلك في حياتهم تأثيرًا مباشرًا، فالصحافة أداة من أدوات المجتمع لتنمية الوعي القومي، ووسيلة لتثقيف الذوق العام والوجدان الجماعي بتزويد الناس بالأخبار «والتفسير والشرح والتوجيه والإرشاد والإمتاع والتعليم والتنشئة الاجتماعية» [1].

عنوان المقالة: يعكس العنوان – بأسلوب التساؤل الحائر «ماذا تحقق من الأهداف؟» – إطار التحقيق الصحفي، الذي يدل على شخصية الأديبة جميلة العلايلي القوية، التي تصدر عن قناعتها الذاتية بالجرأة في معالجة قضايا الإصلاح الوطني، بفكرها الحر الذي يأبى غض الطرف عما يعوق نهضة مجتمعها، وطرقها ميدان المعارك المقالية الذي ينأى عنه أصحاب الأقلام، فالعنوان الذي تخاطب الكاتبة به الوزارة القائمة في عصرها بالتحقيق فيما حققته من أهداف يدل دلالة قوية على مضمون المقال، ويشير إلى المشكلة، ويعطف القارئ نحوها، ويتضمن إلى ذلك عنصر التشويق وإثارة الاهتمام بمتابعة الموضوع.

الفكرة الرئيسة للمقالة: تتضمن مناشدة الكاتبة للحكومة القائمة في عصرها بضرورة تأليف لجنة للرد على النقد الموجه لكل وزارة من قبل الكتّاب.

أفكار المقالة: واضحة، تمتاز بالدقة والتحليل والتعليل لإقناع القارئ، وآثرت الأديبة الدخول في موضوع المقالة مباشرة بوصف حيرة الناس واختلافهم في الحكومة القائمة، ما بين مؤيد ومعارض، ومنصف ومحايد، وتساؤلهم فيما حققته تلك الحكومة من أهداف.

وتبين الكاتبة تأثير الكتاب العظيم في عقول الناس، مما يتطلب من الحكام محاولة استرضاء الشعب المحكوم بالإجابة على تساؤلات الكتاب، فيما يوجهونه من نقد لبعض الوزراء، حتى ولو كانوا من السطوة بمكان، لأن من مصلحتهم أن يعرف الناس عنهم الحقيقة للحق وللتاريخ الذي يظل شاهدًا عليهم، ولأن كل قارئ صحيفة يعتقد بصحة ما يكتبه كاتبها حتى ولو أسماه غيره

---

[1] فن المقال الصحفي، د. عبد العزيز شرف، (ص٥٣).

باطلًا، بل إن جمهرة الشعب يفهم أن كل نقد يوجه لإحدى الوزارات معناه نقد في سياسة الوزير العملية، ومن يدريه الحقيقة وهو لا يقرأ غير التهمة من ناحية كاتب الصحيفة «الذي يمثل المجني عليه، ولا يقرأ دفاع الجاني – ليحكم هو بدل القارئ عن المخطئ والمصيب !!» [(١)].

وتأتي الكاتبة بالشواهد المؤيدة لصدق دعواها في تأثير الكتاب العظيم في نفوس قراء الصحف بما نشره الدكتور زكي مبارك في جريدة «البلاغ» من نقد لبعض الوزراء، وبخاصة وزير المعارف معالي السنهوري باشا، في أنه أضر بالتعليم ضررًا بليغًا؟؟ وهذا النقد يسميه من يعرفون الدكتور زكي مبارك بأنه نقد بناء نزيه، «يهدف لمصلحة التعليم والشعب، بعيد عن التهريج الشخصي الذي يلجأ إليه الناقد الدعيّ» [(٢)].

وتقدم الكاتبة الأدلة الخطابية لضرورة رد الوزارات على النقد الموجه إليهم من قبل الكتاب المؤثرين في المجتمع بأن ادعاء الكاتب يمثل جمهرة الشعب «القراء» والمجني عليهم، فماذا يقول – الوزير وهو كقاضٍ يعلم أن المتهم مهما كان بريئًا فيجب أن يثبت براءته، والشعب المصري لا يعرف غير لغة الأرقام والصحف؟؟

وإذا كان وقت الوزير لا يسمح له بالرد على كل نقد فلماذا لا تشكل لجنة بالرد على كل ما يوجه من نقد أو تهمة للوزارة في شخصية وزيرها، حتى يعرف الجمهور الحقيقة، ولا يتخبط في دياجير الشك والارتياب ما دام الجانب الآخر يلزم الصمت.

وتختم الكاتبة مقالتها بالتأكيد على الفكرة العامة لها وهي ضرورة تأليف لجنة من قبل رئيس الوزراء للرد على كل نقد يوجه للوزارات.

الأسلوب: يمتاز أسلوب النثر السياسي بالسهولة والوضوح بحيث يكون معناه في ظاهر لفظه [(٣)].

فالألفاظ: واضحة سهلة، خالية من السجع والصنعة اللفظية، قريبة من لغة الحياة، ملائمة للموضوع كما في ألفاظ: «أصحاب الرأي، السلطان، الكتاب، الشعب، المتهم، التهمة، الجاني، المجني عليه، ادعاء الوزراء، الوزارة، الشك، الارتياب، نقد، المخطئ، والمصيب، القاضي، ليحكم، دفاع».

وجاءت العبارات منسجمة مع جو المقالة وموضوعها كما في: «هذا ادعاء الكاتب الذي يمثل جمهرة القراء والمجني عليه فماذا يقول – الوزير وهو كقاضٍ يعلم أن المتهم أو الجاني – مهما كان بريئًا فيجب أن يثبت براءته».

وتوظف الكاتبة العبارة القضائية الشائعة: «المتهم بريء حتى تثبت إدانته»، مما يدل على تمكن الكاتبة من اللغة، ونظمها في نسق بياني بديع في قولها: «الوزير وهو كقاضٍ يعلم أن المتهم أو

---

(١) مجلة الأهداف، العدد الأول، (ص١٤).

(٢) المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

(٣) نشأة النثر الحديث وتطوره، د. عمر الدسوقي، (ص١٠٣).

الجاني مهما كان بريئًا فيجب أن يثبت براءته».

فالوزير قاضٍ ومتهم معًا، يتطلب منه الحكم، والدفاع بنفي التهمة معًا.

الصور: جزئية تؤدي دورها في عرض الفكرة بالتجسيم والتشخيص من ذلك قول الكاتبة: «لكي توقف الجمهور على حقيقة الأمر فلا يتخبط في دياجير الشك والارتياب، وقد يتلاعب به الشك فيؤمن بما يسمعه ويقرؤه»، فتصور أثر الحيرة والظنون التي تعصف بالقارئ إزاء النقد الموجه للوزراء، بالإنسان السائر في الظلمات، فلا يدري أي وجهة يسلك، على سبيل الاستعارة بالكناية – تصوير يلائم أثر موقف الوزراء الصامت إزاء ما يوجه لهم من نقد، ويدل على براعة الكاتبة في العرض الشائق الذي يجذب المتلقي.

تحقق في المقالة الإقناع في عرض الفكرة، بتقديم الحجج المنطقية، والتأثير بالصور الخيالية المؤثرة – وإن كانت قليلة – في تناول تلك المشكلة القائمة بين الحكام والمحكومين، وتقديم الكاتبة للحل الأمثل لها، مما يدل على قوة شخصية الكاتبة، في اهتمامها بما يهم الناس من قضايا، وصدق العاطفة في حبها الإصلاح والنقد البناء، وسعة الثقافة وعمق الفكر، في اتصالها بالصحف التي تصدر في بلادها، والارتباط بالواقع في عرض الموضوع.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فقد دار البحث حول: «أدب المقالة عند جميلة العلايلي دراسة نقدية» وتمثلت أبرز نتائج البحث فيما يأتي:

– أبانت الدراسة عن حس الأديبة المرهف ومعايشتها لقضايا المجتمع، ومشاركتها الإيجابية في قضايا الأمة للنهوض بالحياة الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وامتلاك القدرة على الإصلاح، وتقديم الحلول النافعة للمشكلات، بالإقناع بالحجة، والجرأة النادرة في معالجة القضايا السياسية، بالدعوة إلى تحرير الأوطان من كافة ألوان الاحتلال وفي مقدمتها: التحرر من التبعية للمحتل الذي ينهب ثروات البلاد، ويحرم الشعوب.

– برزت شخصية الأديبة «جميلة العلايلي» واضحة قوية في استقلال الرأي ونزاهته في جميع مقالاتها، حيث كانت الثقافة الواسعة هي الرافد الذي ينأى بالكاتبة عن الاضطراب في الحكم أو السطحية، وعدم الاندفاع وراء الميول والأهواء التي تحيد عن الصواب، وكانت الشاعرية هي المصدر الذي يميز كتابتها بالتأثير والذاتية والإمتاع الفني.

– أظهرت الدراسة قوة عاطفة الكاتبة وصدقها، وتواؤمها مع التفكير والتعبير، لأن غاية الكاتبة: حب الإصلاح والنهوض بالوطن، وإثارة مشاعر الغيرة الوطنية، والإشفاق على المخلصين، والسخط والنقمة على المستغلين، ورفع الظلم عن كاهل الأمة، في لهجة صريحة تجعل المتلقي وجهًا لوجه مع وجدان الأديبة يحس بنبضها، ويلمس وفاء الكاتبة لوطنها، وانشغالها به عن كل غاية.

– عكست مقالات الأديبة صورة واضحة للأوضاع الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، في مصر – في عصرها – حيث تابعت الأديبة الطرق على مشكلات المجتمع وأبرزها قضية الفقر، الذي كان سببًا لموت الرسام البارع من شدة الجوع، ولعجز الجمهور عن تقدير فنه في: «الفنون الجميلة»، وكان الفقر سببًا في بيع الأهل للابنة وتزويجها للغنيّ المترف في: «تتزوج كارهة».

والتبعية للمحتل ومعاونته ضد أبناء الوطن، وحرمان الشعوب من ثرواتها والتّضور جوعًا، في : «سر مقتل ملك اليمن الراحل»، و«استعمار إيطالي بحري آلاف من المصريين يجوعون ليشبع الطليان».

والإضرار بالتعليم من قبل وزارة المعارف في: «ماذا تحقق من الأهداف»، ومن ثم اتسمت المقالات بالموضوعية والارتباط بالواقع، والاهتمام بقضايا المرأة الاجتماعية والأدبية.

– ظهرت الموهبة الأدبية للكاتبة في اختيار الألفاظ الموحية بجرسها ودلالاتها وجوّها، والتوازن الدقيق بين الجمل والعبارات، والإطناب في عرض الفكرة مراعاة للمتلقي والقضية التي تعالجها.

– كان لتأثر الأديبة بأدب الرّواد من أمثال: «الرافعي»، و«العقاد»، و«الزيات»، و«ميّ»، وكثرة مطالعتها لكتاباتهم أبلغ الأثر في روعة أسلوبها، وبراعة أدائها، وجزالة ألفاظها، والاهتمام بالمعاني،

فقد تخيرت الأديبة أفضل ما يميز كل أديب، ولعل تأثرها بأسلوب الأديبة «مي» المتدفق بالموسيقى، وبالوضوح الذي ينفي كل لبس، والاحتفال الشديد بتوازن العبارات، وتنسيق الجمل في وحدات مترادفة متساوقة كان واضحًا وبخاصة في المقالة الوصفية: «طيف الربيع مع الشاعر»، والمقالة النقدية «المرأة والشعر العاطفي».

– عناوين المقالات سمة مميزة للأفكار التي تعالجها، فهي تلخص الموضوعات، وتعطف القارئ نحوها، وتثير تشوقه، وتوحي بالمضمون إيحاءً قويًا.

– الأفكار التي بنت الكاتبة مقالاتها عليها في قضايا الوطن أفكار واضحة صحيحة شغلت أذهان المصلحين في كل زمان ومكان، واستقطبت أقلامهم.

– دعت الأديبة إلى ضرورة مطالعة روائع الشعر والنثر العربيين قديمهما وحديثهما لصقل الموهبة الأدبية وتنميتها.

– جاءت المقالات محكمة النسج، قوية التفكير، شائقة العرض، قوية المنطق تحقق الإقناع والإمتاع الفني، حيث حرصت الكاتبة على إبراز فكرتها في بداية المقالة، ثم شرحها وإيراد الشواهد على صوابها في العرض، وتلخيص النتائج في نهاية المقالة، فجاءت أفكار المقالات مرتبة مسلسلة في بناء فني واضح الهدف محكم التصميم، وآثرت الأديبة تنويع الإطار المقالي تارة بالقص، أو الحوار مع القص، أو العرض المباشر في صيغة أدبية.

– تميزت الصور الفنية بالإيحاء الذي يعكس حدة العاطفة، وحرارة الشعور، وتأتي أحيانًا متلاحقة لتدل على فيضان نفس الأديبة بالمعاني، وأخرى جزئية متناثرة يقتضيها السياق.

– حافظت الأديبة على اللغة العربية الفصحى في جميع مقالاتها، ولم تتطرق إلى العامية في الموضوعات الصحفية، بل آثرت اللغة العربية السهلة التي يفهمها الشعب بشتى أطيافه، مما يدل على الدراية الواسعة بأسرار اللغة.

– برزت الثقافة الإسلامية للكاتبة في الاستضاءة بقيم الإسلام، وجعل غاياته المنطلق لأهدافها في مجلتها «الأهداف»، وجمعت الأديبة بين الثقافة الفكرية التي تغلّب جانب المنطق والعقل والاستدلال، والثقافة الأدبية التي تغلبّ جانب التصوير والخيال والشاعرية؛ بامتزاج الفكرة بالعاطفة.

– اهتمت الأديبة بالإيقاع الموسيقي، وظهر ذلك في العناية بالسجع المطبوع والازدواج والمقابلة، والطباق، والترادف، والتكرار.

وبعد: فإن نتاج الأديبة: «جميلة العلايلي» في الفن المقالي قيمة فنية وزاد أدبي ثري، حاولت تناوله قدر الجهد، لأنه من السعة بحيث لا يحاط به في بحث علمي متواضع، والكمال لله تعالى وحده، أسأله التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم رسله سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية، د. بدوي طبانة، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م.
٣- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د. عبد القادر القط، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
٤- الأدب العربي الحديث، د. محمد عبد المنعم خفاجي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.
٥- الأدب العربي المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف، الطبعة الثالثة عشرة، مكتبة الدراسات الأدبية (٤)، دار المعارف.
٦- الأدب وفنونه دراسة ونقد، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٧- الأدب وفنونه، د. محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
٨- الأدب وفنونه، د. محمد مندور، الطبعة الثانية، دار نهضة مصر.
٩- الأدب ومذاهبه، د. محمد مندور، دار نهضة مصر، ٢٠٠٤م.
١٠- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، القاهرة، مطبعة المدني.
١١- أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي، الطبعة السادسة، ٢٠٠٢م، دار نهضة مصر.
١٢- الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٣- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، الطبعة الثامنة، ١٩٧٣م، مكتبة النهضة المصرية.
١٤- الألوان البديعية، د. حمزة الدمرداش، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م، دار الطباعة المحمدية.
١٥- الإيضاح في علوم البلاغة، مختصر تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، دار الجيل، بيروت.
١٦- البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، دار المعارف، ١٩٧٧م.
١٧- البناء الفني للصورة الأدبية، د. علي علي صبح، الطبعة الثانية، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٦٦م.
١٨- البيان والتبيين للجاحظ، ج١، الكتاب الثاني، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، بالقاهرة.
١٩- التصوير البياني في شعر المتنبي، أ.د. الوصيف هلال الوصيف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م، مكتبة وهبة.
٢٠- تطور الأدب الحديث في مصر، د. أحمد هيكل، الطبعة الرابعة، دار المعارف، ١٩٨٣م.
٢١- التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، د. بدوي طبانة، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م.
٢٢- جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث، ج١، تأليف د. عبد العزيز الدسوقي، ذاكرة الكتابة (١٥)، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠م، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٢٣- دراسات في تاريخ الأدب العربي في أزهى عصوره، د. عبد الرحمن عثمان، د. محمد عبد المنعم، خفاجي، مطبعة المدني، القاهرة.
٢٤- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، مكتبة الأسرة.
٢٥- ديوان حسان بن ثابت، د. سيد حنفي حسنين، دار المعارف.
٢٦- ديوان الحطيئة، د. يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٢٧- الديوان في الأدب والنقد، عباس محمود العقاد، إبراهيم عبد القادر المازني، الروائع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، مكتبة الأسرة.
٢٨- ديوان نبضات شاعرة، جميلة العلايلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م.
٢٩- الشعر والتجديد: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار المعهد الجديد للطباعة، رابطة الأدب الحديث.
٣٠- الشعر المصري بعد شوقي، د. محمد مندور، الحلقة الأولى والحلقة الثالثة، روافد أبولو، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.
٣١- الشعر والشعراء لابن قتيبة، الطبعة الأولى، دار المعارف، ١٩٦٦م.
٣٢- الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٣٣- على هامش الأدب والنقد، علي أدهم، طبعة دار المعارف، ١٩٧٩م.
٣٤-العمدة لابن رشيق، تحقيق د. النبوي شعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٣٥- فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، سلسلة الذخائر ١٦٨، تحقيق د. مصطفى السّقا وآخرين، تقديم د. محمد حماسة عبد اللطيف، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٣٦- فن المقال الصحفي، د. عبد العزيز شرف، دار المعارف.
٣٧- فن المقال في الأدب العربي المعاصر، أ.د. إبراهيم عوضين، طبعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣٨- فن المقال في الأدب المصري الحديث، دراسة فنية تاريخية، د. أحمد محمد علي حنطور، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة الأولى.
٣٩- فن المقال في ضوء النقد الأدبي، عبد اللطيف محمد الحديدي، طبعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٤٠- فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الفنون الأدبية (١)، الجامعة الأميريكية، الطبعة الرابعة.
٤١- في الأدب الإسلامي الصوفي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. علي علي صبح، القاهرة، ١٩٧٧م، دار الأنصار.
٤٢- في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، ج١، دار الفكر العربي، ط٨، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٤٣- في الأدب العربي المعاصر، ج١، أ.د. إبراهيم عوضين، ط١، ١٩٧٦م، مطبعة السعادة.

٤٤- في فلسفة النقد، د. زكي نجيب محمود، الطبعة الأولى، ١٩٧١م، دار الشروق.
٤٥- فيض الخاطر، ج١، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية.
٤٦- القصة القصيرة في العالم العربي، ظواهر بيانية ودلالية، د. حميد الحمداني، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، مطبعة آنفو برانت.
٤٧- قضايا النقد المعاصر، نازك الملائكة، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٢م.
٤٨- لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور، الطبعة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار الحديث.
٤٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، تحقيق د. أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة القاهرة.
٥٠- مدرسة أبولو الشعرية، في ضوء النقد الحديث، د. محمد سعد فشوان، دار المعارف، مكتبة الدارسات الأدبية ٨٦.
٥١- مستتبعات التراكيب بين البلاغة القديمة والنقد الحديث، د. عبد الغني محمد بركة، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية، ١٩٨٠م.
٥٢- مستقبل الصحافة، د. عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، ١٩٦١م.
٥٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ط٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٥م، مكتبة الشروق الدولية.
١- المقالة الأدبية وعصر الاحترام، د. عبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٥٤- المقال الاجتماعي عند أحمد حسن الزيات، منهجه، قضاياه وظواهره الفنية، د. أحمد عبد الغفار عبيد، دار المطبوعات الجديدة، ١٩٨٨م.
٥٥- مهمة الشاعر في الحياة، سيد قطب، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، منشورات دار الجمل.
٥٦- نشأة النثر الحديث وتطوره، د. عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، ١٩٧٦م.
٥٧- النقد الأدبي، أحمد أمين، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م، مكتبة النهضة المصرية.
٥٨- النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، الطبعة السادسة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دار الشروق.
٥٩- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، مطبعة الفجالة القاهرة.
٦٠- النقد التطبيقي والموازنات، د. محمد الصادق عفيفي، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٣٩٨م - ١٩٧٨م.
٦١- نقد النثر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

الدوريات:

٢- مجلة أبولو، المجلد الأول والثاني والثالث، دراسة وتحقيق أ.د. عبد العزيز شرف، أ.د. عبد المنعم خفاجي، المجموعة الكاملة، كنوز المعرفة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م.
٣- مجلة الأهداف (سياسية - اجتماعية - أدبية - جامعة) العدد الأول، ٣٠ محرم سنة ١٣٦٨هـ - أول ديسمبر ١٩٤٨م، السنة الأولى، تصدر من أول كل شهر، لجميلة العلايلي، سيد ندا.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

المقدمة ١١٧٢
التمهيد ١١٧٤
المبحث الأول: المقالة الأدبية ١١٨٢
أولًا: المقالة النقدية ١١٨٢
ثانيًا: المقالة الاجتماعية ١١٩٥
ثالثًا: المقالة الوصفية ١٢١٤
المبحث الثاني: المقالة الصحفية ١٢٢٣
أولًا: المقالة الافتتاحية ١٢٢٣
ثانيًا: المقالة الاقتصادية ١٢٣٤
ثالثًا: المقالة السياسية ١٢٣٩
الخاتمة ١٢٥٣
ثبت المصادر والمراجع ١٢٥٥
فهرس الموضوعات ١٢٥٩

List the sources and references

١- Quran The Holy.

٢- y standards. dBadawi Abu Hilal AlAskari and his rhetorical and monetar .AD ١٩٦٠Tabana . second edition. .

٣- Makes sentimental in contemporary Arabic poetry. d. Abdel Qader AD ١٩٨١AlQat. second edition. Dar AlNahda AlArabiya. Beirut. .

٤- Modern Arabic literature. d. Muhammad Abdel Moneim Khafagy. Part AD. AlAzhar Colleges Library in ١٩٨٥AH ١٤٠٥st Edition. One. Fir Cairo.

٥- Contemporary Arabic literature in Egypt. d. Shawqi Dhaif. Thirteenth Dar AlMaaref .(٤)Edition. Library of Literary Studies .

٦- Dar .Literature and its arts. study and criticism. d. Izz alDin Ismail AD ٢٠٠٤AH ١٤٢٥alFikr alArabi. .

٧- Literature and its arts. d. Mohamed Anani. The Egyptian General Book AD ١٩٩٧Authority. .

٨- Literature and its arts. d. Mohamed Mandour. second edition. Dar Nahdat Misr.

٩- Dar Nahdet Misr. .Literature and its doctrines. d. Mohamed Mandour ٢٠٠٤.

١٠-Asrar AlBalaghah. AbdulQaher AlJurjani. investigation by Mahmoud AD. Cairo. AlMadani Press ١٩٩١AH ١٤١٢Shaker. first edition. .

١١-The foundations of literary criticism among the Arabs. d. Ahmed Ahmed Misr r NahdetAD. Da ٢٠٠٢Badawy. sixth edition. .

١٢-AH ١٤١١Style. Ahmed AlShayeb. Egyptian Renaissance Library. AD ١٩٩١.

١٣-The Origins of Literary Criticism. Ahmed AlShayeb. eighth edition. AD. Egyptian Renaissance Bookshop ١٩٧٣.

١٤-AH ١٤٠١Innovative colors. d. Hamza Al Demerdash . first edition. AD. Muhammadiyah Printing House ١٩٨٠.

١٥-Clarification in the Sciences of Rhetoric. Brief Summary of the Key to AlKhatib AlQazwini. Dar AlJil. Beirut.

١٦-Rhetoric. development and history. d. Shawqi Dhaif. fourth edition. Dar AD ١٩٧٧AlMaarif. .

١٧-struction of the literary image. d. Ali Sobh . second Technical con AD ١٩٦٦edition. AlAzhar Heritage Library. .

١٨-Book Two. investigation .١AlBayan and AlTabyeen by AlJahiz. Part and explanation by Abd alSalam Harun. AlMadani Press. Al Khanji Library . Cairo.

١٩-AlMutanabbi's Poetry . Prof. Dr. AlWasif Hilal AlWasif. Diagram in A.D.. Wahba Bookshop ٢٠٠٦A.H.. ١٤٢٦first edition. .

٢٠-The development of modern literature in Egypt. d. Ahmed Heikal. AD ١٩٨٣fourth edition. Dar AlMaarif. .

٢١- ١٩٧٠bana . second edition. Currents in literary criticism. d. Badawi Ta AD.
٢٢-authored by .١The Apollo group and its impact on modern poetry. Part ٢٠٠٠fourth edition. .(١٥)Dr. Abdel Aziz AlDasouki. Memory of Writing AD. the General Authority for Cultural Palaces.
٢٣-terature in its brightest era. d. Abdul Studies in the history of Arabic li Rahman Othman. d. Mohamed Abdel Moneim. Khafagy. AlMadani .Press. Cairo.
٢٤-Evidence of Miracles. AbdelQaher AlJarjani. reading and commenting: ٢٠٠٠Mahmoud Mohamed Shaker. the Egyptian General Book Authority. .amily libraryAD. the f.
٢٥-.Diwan Hassan bin Thabet. d. Syed Hanafi Hassanein. Dar AlMaarif.
٢٦- ١٤١٣st edition. ١Diwan AlHatea. d. Youssef Eid. Dar AlJeel. Beirut. .AD ١٩٩٢AH .
٢٧-The Court in Literature and Criticism. Abbas Mahmoud AlAkkad. asterpieces. The Egyptian General Book Ibrahim AbdelQader AlMazni. M .AD. Family Library ٢٠٠٠Authority. .
٢٨- ١٩٨١Diwan Nabadat Poet. Jamila AlAlayli. General Book Authority. .AD.
٢٩-Poetry and Regeneration: Dr. Mohamed Abdel Moneim Khafagy. Dar .ture AssociationAlJadeed Institute for Printing. Modern Litera.
٣٠-Egyptian poetry after Shawky. d. Muhammad Mandour. Episode One and Episode Three. Tributaries of Apollo. Dar Nahdet Misr. Faggala . .Cairo.
٣١- ١٩٦٦Poetry and poets by Ibn Qutayba. first edition. Dar AlMaarif. .AD.
٣٢-Hilal AlAskari. investigation d. Mofeed The two industries of Abu ١٤٠٤Qamiha. Dar AlKutub AlIlmiya. Beirut. Lebanon. second edition. .A.D ١٩٨٤A.H. .
٣٣-On the margins of literature and criticism. Ali Adham. Dar AlMaarif .AD ١٩٧٩edition. .
٣٤-Al Nabawi Shaalan. first .The mayor of Ibn Rasheeq. investigation d .AD. AlKhanji Library . Cairo ٢٠٠٠AH ١٤٢٠edition. .
٣٥-Language jurisprudence and the secret of Arabic by Abu Mansour investigation by Dr. Mustafa .١٦٨alTha'alabi. ammunition series sa Abdel Latif. ElSakka and others. presented by Dr. Mohamed Hama .General Authority for Cultural Palaces.
٣٦-The art of the press article. d. Abdul Aziz Sharaf. Dar Al Maarif.
٣٧-The Art of Essay in Contemporary Arabic Literature . Prof. DrIbrahim .AD ١٩٩٧AH ١٤١٧Awadin. edition .
٣٨-dern Egyptian literature. a historical study d. The art of the article in mo .AD. first edition ١٩٩٦AH ١٤١٦Ahmed Muhammad Ali Hantour. .
٣٩-The Art of Essay in the Light of Literary Criticism. Abd alLatif

.AD ١٩٩٩AH ١٤١٩Muhammad alHadidi. edition .
٤٠-jm. House of Culture. Beirut. Article art. d. Muhammad Youssef Na .American University . fourth edition .(١)Lebanon. Literary Arts .
٤١-In Sufi Islamic literature until the end of the fourth century AH. d. Ali .AD. Dar AlAnsar ١٩٧٧Ali Sobh. Cairo. .
٤٢-Dar AlFikr AlArabi. .١ In modern literature. d. Omar AlDasouki. Part .AD ٢٠٠٠AH ١٤٢٠th edition. ٨.
٤٣-Prof. Dr. Ibrahim Awadin. .١In Contemporary Arabic Literature. Part .AD. AlSaada Press ١٩٧٦st edition. ١.
٤٤-In the philosophy of criticism. d. Zaki Najeeb Mahmoud. first edition. .kAD. Dar AlShorou ١٩٧١.
٤٥-Ahmed Amin. The Egyptian Renaissance .١Fayd AlKhater. Part .Bookshop.
٤٦-The short story in the Arab world. graphic and semantic phenomena. d. . AD. Info Brandt Press ٢٠١٥Hamid AlHamdani. first edition. .
٤٧-first edition. .Cases of Contemporary Criticism. Nazik AlMalaikah .AD ١٩٦٢AlNahda Bookshop. Baghdad. .
٤٨- ٢٠٠٣AH ١٤٢٣Lisan AlArab by Imam Allama Ibn Manzoor. Edition .AD. Dar AlHadith.
٤٩-The walking proverb in the literature of the writer and poet by Diaa y . and Dr. Badawy alDin ibn alAtheer. investigated by d. Ahmed Al Hof .Tabana . Dar Nahdet Misr. Faggala . Cairo.
٥٠-Apollo's Poetic School. in the Light of Modern Criticism. d. .٨٦Muhammad Saad Fashwan. Dar AlMaarif. Literary Studies Library .
٥١-n implications of the structures between ancient rhetoric and moder criticism. d. Abdul Ghani Muhammad Baraka. first edition. .AD ١٩٨٠Muhammadiyah Printing House. .
٥٢-The future of journalism. d. Abdul Latif Hamza. Dar AlFikr AlArabi .AD ١٩٦١.
٥٣-The Intermediate Lexicon. Arabic Language Academy. General ١٤٢٩th edition. ٤eatment and Heritage Revival. Administration for Tr .AD. AlShorouk International Library ٢٠٠٥AH .
٥٤-Literary article and the age of respect. d. Abdul Aziz Sharaf. Dar .AD ١٩٩٣AH ١٤١٤AlJeel. Beirut. edition .
٥٥-oach. issues and The social essay of Ahmed Hassan AlZayyat. its appr artistic phenomena. d. Ahmed Abdel Ghaffar Obaid. New Publications .AD ١٩٨٨House. .
٥٦-AD. Dar ١٩٩٦The Poet's Mission in Life. Sayyid Qutb. first edition. .AlJamal Publications.
٥٧-i. The emergence and development of modern prose. d. Omar AlDesouk .AD ١٩٧٦Dar AlFikr AlArabi. .
٥٨-AD. Egyptian ١٩٦٣Literary Criticism. Ahmed Amin. third edition. .Renaissance Bookshop.

٥٩-Literary Criticism. Its Origins and Methods. Sayyid Qutb. Sixth Edition. .A.D.. Dar AlShorouk ١٩٩٠A.H. ١٤١٠.
٦٠-m. d. Muhammad Ghoneimi Hilal. Faggala Modern literary criticis .Press. Cairo.
٦١-Applied criticism and budgets. d. Muhammad AlSadiq Afifi. AlKhanji .AD ١٩٧٨AD ١٣٩٨Library . Cairo. .
٦٢-Criticism of Prose. by Abi AlFaraj Qudama bin Jaafar. Dar AlKutub .AD ١٩٨٢ AH ١٤٠٢AlIlmiya edition. Beirut. .

Periodicals:

١- Apollo Journal. Volumes One. Two and Three. Study and Investigation by Prof. Dr. Abdel Aziz Sharaf . Prof. Dr. Abdel Moneim Khafagy. The Complete Collection. Treasures of Knowledge. Family .٢٠٠٣Library. .
٢- .١Social Literary University) Issue Goals Magazine (Political AD. first year. issued on the ١٩٤٨.١AH December ١٣٦٨.٣٠Muharram .first of every month. by Jamila AlAlayli. Sayed Nada.